

الوضع الثقافي في الجزائر بداية الاحتلال
الفرنسي (1830 - 1871)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في :

تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور:

أ.د. كمال بيرم

شعبة: التاريخ

إعداد الطالب:

العربي شودار

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د. جمال عطابي	جامعة المسيلة	رئيسا
أ.د. كمال بيرم	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د. عبد الغني حروز	جامعة المسيلة	مناقشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ

شكر وعرفان:

أول شكر لله سبحانه وتعالى على ما أسبغه علينا من نعم وعلى تيسير

السبيل فله الحمد والشكر في كل وقت وحين .

يسرنا ان نتقدم بجزيل الشكر لدكتورنا "كمال بيرم" الذي مدنا منابع علمه بالكثير ولم يبخل

علينا بنصائحه وتوجيهاته البناءة

كما نتقدم بالشكر الخالص إلى اساتذتي الكرام، اعضاء اللجنة المناقشة الموقرين على ما

تكبدوه من عناء في قراءة رسالتي المتواضعة .

مع كل الشكر والتقدير لكل من ساعدونا للحصول على المعلومات اللازمة لإتمام هذا العمل

شكرا كذلك لكل من علمنا حرفا، كلمة، مقياسا لكل الاساتذة المحترمين .

الإهداء

الحمد لله والشكر لله الذي وقتني وسدد خطاي
وأعمر علي بالصحة حتى نلت مبتغاي بكل فخر واعتزاز
أهدي هذا العمل المنواضع الى من كان شمعة تشعل لهيب
لنا الدرب لتسلكه حتى يعرف كل واحد منا
مواقع أقدامه في درب الحياة وللوالدين الكريمين حفظها الله
إلى طاقم الأساتذة وخاصة أساتذنا العزيز
التدبيرير مكمال إلى جميع من وأكبهم هذا المشوار الجامعي .
إلى الجميع أدفع هذا العمل مع كامل الامثان والتقدير

مقدمة



مقدمة

رغم أن العديد من المؤرخين والباحثين تطرقوا للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال الحقبة الاستعمارية التي عاشتها الجزائر، والبعض منهم تناول الجانب الثقافي سيما في المجال الثقافي، ولإدراكنا التام لأهمية هذا الجانب في توضيح وفهم تاريخ الجزائر خلال هذه الفترة ارتأيت أن أتناول جانبا مهما في تاريخ الجزائر الحديث هو الجانب الثقافي في هذه الدراسة تحت عنوان:

الوضع الثقافي في الجزائر بداية الاحتلال الفرنسي (1830-1871)

أسباب اختيار الموضوع

ويعود سبب اختياري لهذا الموضوع الرغبة في معرفة تاريخ الجزائر الثقافي بداية الاحتلال الفرنسي أما الأسباب الموضوعية فتتمثل في أن الجانب الثقافي في هذه الفترة مازال بحاجة إلى دراسات وأبحاث كما ونوعا.

والدراسة هذا الموضوع والذي يتناول جزءا هاما من تاريخ الجزائر ويتطرق إلى إحدى المراحل الصعبة ألا وهي بداية الاحتلال، ومعاينة الوضعية الثقافية في البلاد خلال هذه الفترة.

الإشكالية:

وقد عالجت هذا البحث انطلاقا من الإشكالية التالية: كيف كانت الوضعية الثقافية في الجزائر بداية الاحتلال الفرنسي؟

ولتغطية جل جوانب الموضوع طرحت التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هي أبرز المؤسسات الثقافية والعلمية في الجزائر بدايات الاحتلال؟ وهل حافظت على أدوارها الثقافية في ظل الاحتلال؟
- ما مدى تأثير الوضع السياسي (الاحتلال) على المجال الثقافي للجزائر؟
- ما مدى مساهمة العلماء ورجال الزوايا والتصوف خلال الفترة (1830-1871)



- ما هي أبرز الطرق الصوفية خلال الفترة المدروسة ؟
- ما مدى مساهمة الجزائريين في العلوم والفنون ؟

مناهج البحث:

وفي سعيي للإجابة على الإشكالية التي طرحتها مسبقا، والعمل على معالجة هذه الدراسة اعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي، والذي مكّني من تتبع ووصف الأوضاع الثقافية وهذا على ضوء المصادر والمراجع المتوفرة لدي، ولم تخلو الدراسة من التحليل والذي اتبعت فيه المنهج التحليلي من خلال التطرق إلى بعض المواقف ومناقشتها كمواقف رجالات التصوف من الاحتلال للبلاد، والمنهج الإحصائي والذي حاولت من خلاله إعطاء بعض الإحصائيات التي أقدم هذه الدراسة.

خطة البحث:

عالجت الموضوع وفق الخطة التالية:

مقدمة

فصل تمهيدي وتناولت فيه الوضع العام للجزائر بداية الاحتلال (سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا) ومدى علاقتها وتأثيرها في الجانب الثقافي، وثلاثة فصول، الفصل الأول وتناولت فيه التعليم والمؤسسات التعليمية: المؤسسات التعليمية، التعليم العربي التقليدي، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)، ما الفصل الثاني المؤسسات الدينية: وتناولت فيه الأوقاف، الزوايا، الطرق الصوفية

الفصل الثالث: الانتاج الفكري وتطرق في فيه إلى: العلوم الشرعية، الآداب والتاريخ، العلوم

والفنون

خاتمة وملاحق



وقد اعتمدت في دراستي هذه على كتاب المرأة لحمدان بن عثمان خوجة وهو مصدر لا غنى عنه في دراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، بالإضافة إلى مجموعة من المراجع أهمها:

- التاريخ الجزائري الثقافي بأغلب أجزائه، لأبي القسم سعد الله
- ومحاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال) لسعد الله كذلك.
- ودراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، لناصر الدين سعيدوني

صعوبات البحث:

- وكأي بحث أو دراسة لم تخل هذه الدراسة من صعوبات وعوائق منها :
- صعوبة تناول الجوانب الثقافية وهذا نظرا لصعوبتها وتنوعها وعدم تناولها بدراسة كافية.
 - قلة وجود دراسات معمقة ومستفيضة.
- أتمنى أن أكون بهذا العمل قد لامست جزءاً من تاريخ الجزائر الذي يبقى مجالاً واسعاً للبحث والتنقيب من قبل الباحثين.

الفصل التمهيدي

الوضع العام في الجزائر بداية الاحتلال الفرنسي

الفصل التمهيدي: الوضع العام في الجزائر بداية الاحتلال الفرنسي:

عرفت الجزائر في أواخر الحكم العثماني وهو عهد الدايات (1671-1830)، نوعا من الاستقلال عن الدولة العثمانية، فأصبحت بذلك دولة مكتملة السيادة، ولها عاصمتها وهي مدينة الجزائر، ولها حرية القرارات في شؤون الحرب، وإبرام المعاهدات والاتفاقيات، دون الرجوع إلى استشارة أو موافقة الباب العالي في اسطنبول.¹

كما كانت تملك أسطولا قويا يدافع عن شواطئها ضد هجمات الدول الاستعمارية ولكن تحطيم هذا الأسطول في معركة نافارين سنة 1827 إلى جانب العثمانيين ضد الخلف الروسي، الفرنسي البريطاني، جعلها تتعرض الحصار بحري فرنسي في 16 جوان 1827 وساءت العلاقات بين البلدين لا سيما بعد أن طالبت الجزائر فرنسا سداد ديونها السابقة.

1 - الوضعية السياسية:

تجسدت النوايا الفرنسية وأطماعها بتوجيه حملة عسكرية نحو السواحل الجزائرية في 1830 بذرائع واهية كحادثة المروحة.

وما إن حل الخامس جويلية من نفس السنة حتى سقطت مدينة الجزائر في قبضة المحتلين الفرنسيين، ودخل "دوبورمون" المدينة غازيا، وأبرم المعاهدة التي كانت بينه وبين الداوي حسين، والتي مفادها احترام مقومات الشعب الجزائري وأملاكه،² وتسليم حصون مدينة الجزائر، وحرية الداوي وأهله وأملاكه³، ويسقط مدينة الجزائر سقطت المدن الجزائرية الأخرى تباعا كوهان 1831 وعنابة والمدينة، والبليدة، وقسنطينة في 1837.

وبمرسوم ال 22 جويلية 1834 اعتبرت الحكومة الفرنسية الجزائر امتدادا طبيعيا لها ومن خلاله أصبحت تسير بقوانين الملكية الفرنسية، ويحكمها جنرال "حاكم عام" وهذا بدل

1 - عمار بوحوش التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006، من ص 56

2 - محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 261.

3 - حمدان خوجة، المرأة تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي زبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 203-204.

"القائد العام"، وتكون مهامه تحت وصاية وزارة الحربية، وزيادة عن صلاحياته العسكرية كانت له مهام مدينة.¹

وفي هذه الظروف السائدة التي ميزت البلاد نتيجة الاحتلال والعدوان على أرض الجزائر وسادها، وسياسة الإلحاق عنوة، كان لابد أن يتجاوب الشعب الجزائري بكل فئاته من علماء وشيوخ زوايا، وشيوخ الطرق الصوفية، لهذا الحدث بالنداء للجهاد والمقاومة منذ البداية، فقامت عدة مقاومات في وجه العاصين، فثار في منيحة ابن زعمون، والحاج سيدي السعيد، وفي التيطري الباي مصطفى بومزراق، وفي بابلك الشرق إبراهيم باني، إضافة إلى المقاومة السياسية التي قادها حمدان بن عثمان خوجة.

وكانت مقاومين الأمير عبد القادر ابتداء من 1832-1847)² في الغرب الجزائري والحاج أحمد باي (1830-1848) في الشرق الجزائري من أبرز المقاومات الشعبية في بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهذا رغم التنافر والتصادم الذي ميز العلاقات بين الرجلين³، ولم يقتصر دور الأمير عبد القادر في مقاومة الاحتلال الفرنسي بل يمكن أن يؤسس دولة جزائرية حديثة، لها عاصمتها، وهي مدينة معسكر ولها رايتها ومؤسساتها. وبانتهاء مقاومتي الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي زادت فرنسا في سياستها التوسعية وإرساء مشاريعها ونظمها الإدارية وعدد جنودها وتعرف هذه المرحلة بمرحلة التهذئة.

وبالمقابل استمرت المقاومة الشعبية ضد المعمرين، ومنها ثورة سكان واحة الزعاطشة قرب مدينة بسكرة من (1948-1949)، والتي انتشرت في الواحات، ووصلت حتى الأوراس

¹ - عميرايو حميدة السياسية الإدارية في الشرق الجزائري من خلال مشروع لويس بلايكي، عملة الصادرة محملة بسداسية يصدرها المركز الوطني لدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 06 مارس 2002 من 82

² - أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي 4 طاء دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 33.

³ - ناصر الدين سعيدوني، سعدون العلاقة بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي وانعكاساتها على المقاومة في أوائل عهد الاحتلال مجلة الدراسات التاريخية، مجلة دورية بصدورها معهد التاريخ بجامعة الجزائر، العدد الثاني، 1986، ص

والحصنة، وبعد التعزيزات التي تلقتها القوات الفرنسية في المنطقة والتي بلغت الـ 19.000 جندي، ثم حصار الواحة وحرقها، وشنق المئات من المجاهدين وعلى رأسهم الشيخ بوزيان.

2- الوضعية الاقتصادية

من أبرز مميزات الشعب الجزائري في أواخر العهد العثماني وعشية الاحتلال الفرنسي للجزائر أنه مجتمع فلاح، حيث تواجد أغلب أفراده في الأرياف واعتمد إنتاجه الفلاحي على أدوات تقليدية وبسيطة كالمحرف، والمنجل ... كما كان لكل جهة من جهات الوطن محصولا زراعيًا خاصا بها، في حين اهتم سكان السهول بزراعة العنب وزيت الزيتون والتين¹، واختص آخرون في مناطق أخرى بزراعة القمح والشعير والذرى، واهتمت الواحات بزراعة النخيل...

أما في الميدان الصناعي فقد تركزت أهم النشاطات الاقتصادية في المدن الكبرى مثل: مدينة الجزائر، ووهران وقسنطينة، وعنابة، وبجاية، وغيرها

وحيثما دخل الفرنسيون أرض الجزائر وجدوا بها في تلمسان 500 مصنع لصناعة النسيج وفي قسنطينة 176 معمل لصناعة الأحذية، و75 لصناعة سروج الخيل، و33 معملا لدباغة الجلود، هذا بالإضافة إلى مصانع الحديد والخشب، والمجوهرات والصوف والحريز، وصناعة الزرابي، وخياطة البرانس والحياك.

وكانت هذه المعامل تلبى حاجات أفراد المجتمع في المدن والقرى².

أما في الميدان التجاري فقد كانت المدن الجزائرية عبارة عن فضاءات ومراكز للأنشطة والمعاملات التجارية، لا سيما في المدن الساحلية، ومن أبرز مظاهر هذا النشاط هو انتشار الأسواق الأسبوعية، والتي كانت تتم فيها المبادلات التجارية داخل المدن ويستعمل فيها النقود أو المقايضة ومن أبرزها "باب عزون" بمدينة الجزائر.

كما كانت هناك أسواق تجارية داخل المدن وحاراتها، فتجد سوق الخشب وسوق الحدادين وسوق العطارين. وسوق الذهب والفضة، وسوق النحاسين

¹ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830 ط2 ، دار هومه الطباعة والنشر والتوزيع المرارة 2007،

ص 236

² - المرجع نفسه، ص 247.

إضافة إلى المبادلات التجارية بين سكان الجزائر والبلدان المجاورة كالمغرب، والسودان، وليبيا، وتونس، وهذا عن طريق القوافل التجارية وحتى مع الأقاليم الواقعة في الصحراء الجزائرية كإقليم "توات" والذي لم يتعرض للاحتلال الفرنسي في هذه الفترة وتأتيه القوافل ذهابا وإيابا من ميزاب، أولاد سيدي الشيخ، وسعيدة¹، ووهران.

وبدخول الفرنسيين البلاد انتهجوا سياسة اقتصادية مفادها مصادرة الأراضي، وتوجيه الإنتاج الفلاحي، وإلحاق وربط الاقتصاد الجزائري بالاقتصاد الفرنسي، وفي الفترة الممتدة من (1830-1850) الترع المعمرون من الأهالي ما مقداره 200.000 هكتارا من الأراضي².

كما قامت سلطات الاحتلال مصادرة أراضي القبائل الثائرة في 1832، وفي 31 جويلية 1846 سنت قانونا ينص على مصادرة أراضي البور والرعي التابعة للأعراش والقبائل المتنقلة عبر ربوع الوطن.

وبالتالي شهدت الفلاحة والمزروعات الفلاحية تغيرا ملحوظا تحت الوصاية الاستعمارية والتي حاولت تقويض النمط الفلاحي لدى الفلاح الجزائري واستبداله بأنماطها الحديثة، وشكلت زراعة القطن، والدخان إحدى اهتمامات الإدارة الفرنسية، وهذا ما بين (1846-1852)³.

ولقد كان للمكاتب العربية التي أنشأتها فرنسا في الجزائر خلال 1844 دورا لا يستهان به في إيقاف كل مبادرات الفلاحين الجزائريين في إصلاح وتشجير أراضيهم،

¹ - فرج محمود فرج إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1977، ص 72.

² - حمد تحسين السليمانية نزع الملكية للجزائريين (1830-1871)، مجلة المصادر مجلة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 06 مارس 2002، الجزائر، ص 18.

³ - صالح فركوس تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، عار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 342-343.

وسعيها إلى ضم أغلب الأراضي للسلطة الاستعمارية، وبذلك أهملت عدة قبائل وأعراش أراضيها ونزحت نحو أراضي أخرى.

والذي زاد في تردي الحالة الاقتصادية لدى الأهالي في ظل الاحتلال هو سوء المحاصيل الزراعية وغزو الجراد في 1845-1846 والذي أدى إلى غلاء الأسعار فيما بين 1845-1848.

وبسيطرة الجيش الفرنسي على أهم المدن التجارية في الجزائر كقسنطينة، وعناية، وبجاية، وسكيكدة، وباتنة، وبسكرة، فإن المعمرين تحكّموا في المجال التجاري وهذا لما بلغت إليه هذه المدن من الأهمية. لدى الإدارة الفرنسية لتحقيق مصالحها الاقتصادية، وبالتالي سعت لمراقبة أسواق هذه المدن وفرضت عليها "الحقوق الرسومية"

ففي بسكرة التي بلغ عدد نخيلها سنة 1844 حوالي 80.000 نخلة، والتي حافظت على علاقاتها التجارية مع تقرت وتونس في مواد الصوف والحبوب على مدار السنوات الأولى للاحتلال، فإن سلطات الاحتلال جعلتها في مقدمة المدن لتدعيم وتمويل استثمارات مقاولاتها.

ونفس الحال ينطبق على قسنطينة، والتي اهتم بنشاطاتها ضباط المكاتب العربية لا سيما بسوقها الذي يتميز بتجارة الأغنام والمواشي التي تأتي بها قبائل الحراكمة والسلاوة" وعلى مدار سنوات 1846-1850 أصبحت الجزائر ملحقا اقتصاديا وينضح ذلك من خلال هذا الجدول المبين لقيم الصادرات والواردات.¹

السنة	الصادرات في كل القطر الجزائري	الواردات في كل القطر الجزائري
1846	9.043.000 فرنكا	1159.25.25 فرنكا
1847	9.863.348 فرنكا	96.181.534 فرنكا
1848	7.105.772 فرنكا	86.214.619 فرنكا
1849	13.729.085 فرنكا	65.251.622 فرنكا
1850	10.268.383 فرنكا	72.692.782 فرنكا

¹ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 358.

وقد كانت سلع الصادرات تتمثل في مواد الصوف والحبوب، وغيرها من الثروات المحلية أما سلع الواردات فتتمثل في الأقمشة والقطن، ومواد صناعية، ووسائل فلاحية وغيرها.

الوضعية الاجتماعية: وصل تعداد سكان الجزائر في أواخر العهد العثماني حوالي ثلاثة ملايين ونصف نسمة¹، وقد تواجدت غالبية الأفراد في الأرياف، وفي إحصاء آخر يعود لسنة 1830، لعدد سكان حواضر الجزائر الكبرى:

- مدينة الجزائر 30,000 نسمة.

- مدينة قسنطينة 25.000 نسمة

- مدينة وهران 90.000 نسمة².

كما حافظ المجتمع الجزائري في بدايات الاحتلال الفرنسي على تركيبته المعهودة: الكراغلة، والحضر، والبدو، قبائل الرعية والمخزن، والمجموعات الأخرى...

ومنذ البداية اعتمدت السلطات الاستعمارية على سياسة ثنائية، في حين شجعت فجرة الفرنسيين والأوروبيين للجزائر، حاولت تفكيك النسيج الاجتماعي للمجتمع الجزائري، وهذا بتحطيم وتهديم روابط القبيلة في الأرياف، وطبقت أساليب النفي والتشريد، والتهجير، وفتحت باب الهجرة والاستيطان للجزائر تمهيدا للسياسة الإلحاق والتي مفادها أن تصبح "الجزائر فرنسية" وبالفعل أصدرت قرارا في 22 جويلية 1834 لترسيخ هذه الفكرة الاستعمارية، كما أنشأت لها في الجزائر "أسقفية الجزائر" في 08 أوت 1838 والتي اعتمدت على الإغراء والتضليل الديني وشجعت الإرساليات والبعثات التنصيرية التي باشرت مهامها ومنها الدعوة إلى المسيحية والارتداد عن الدين الإسلامي وبالتالي إحداث شرح وطمس الهوية هذا المجتمع والتي كان الدين أحد مرتكزاتها.

¹ - الناصر الدين سعيدوني النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثمان (1792-1830)، 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 41.

² - بشير ملاح: تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، ج 1، دول طبعة، دار المعرفة، دون تاريخ، من 29

ومن جراء الحروب والمقاومات التي شهدتها مجمل مناطق الوطن تعرضت فئات عريضة من المجتمع الجزائري للفناء كقبيلة بني رياح في خيال الظهرة في 1845 والتي أحرقت عن بكرة أبيها، كما تعرضت الكثير من الأعراش والقبائل للنفي والتشريد. وقد عاش الأهالي سنوات عصيبة ملؤها الفقر والمجاعة والمعاناة وقد صادفت الأزمة الاقتصادية في الجزائر وتجريد الفلاحين الجزائريين من أراضيهم، ومنحها للمستوطنين الفرنسيين والأوربيين، والذي زاد في الوضع سوءا هو الأزمة التي عرفتها البلاد في 1846 وهذا جراء قلة المحاصيل الزراعية، واكتساح الجراد المناطق واسعة من البلاد، والذي نتج عنه مآسي اجتماعية عديدة كالمجاعة والفقر، وتردي الأحوال الصحية بتفشي الأمراض والأوبئة الفتاكة كالتيفيس، والكوليرا وغيرها.

وقد صارع المجتمع الجزائري هذه المآسي والكوارث والأمراض، وقاسى كثيرا باستمرار هذه المجاعات من 1845، وحتى 1850.¹

¹ - صالح فركوس، مرجع سابق، ص 368.

الفصل الأول: المساهمة الأندلسية في المجال الاقتصادي

أولاً: في المجال الفلاحي

ثانياً: في المجال الصناعي

ثالثاً: في المجال التجاري

الفصل الأول: التعليم والمؤسسات التعليمية:

- المؤسسات التعليمية
- التعليم العربي التقليدي
- السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)

الفصل الأول: التعليم والمؤسسات التعليمية

حافظ النشاط الثقافي في الجزائر أواخر العهد العثماني على دوره في المؤسسات

الثقافية المعهودة كالكليات والمدارس القرآنية والمساجد والمكتبات.

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية:

ساهمت المؤسسات التعليمية في إثراء وتفعيل النشاط الثقافي وهذا رغم الظروف السياسية السائدة وواصلت المساجد والمدارس التعليمية والزوايا أنشطتها التعبديّة والتربويّة والتعليمية بنوع من التحدي.

1- المساجد: تعد المساجد من أهم المؤسسات الثقافية في الجزائر وهذا منذ قرون عديدة، حيث كانت تتولى وظائف ومهام من عبادات وتعليم، وعادة ما تنسب إلى مؤسسيها من كبار التجار ورجال السياسة والعسكريين، أو إلى الحارات أو الأحياء التي تتواجد بها كجامع الغزل بقسنطينة، وجامع باب الجزيرة، أو تنسب إلى حرفة أو صناعة معينة كجامع الخياطين وحي الرماة بتلمسان.¹

ونظرا لأنها تشكل رابطة وحلقة تواصل بين أفراد المجتمع، كانت كل الحواضر والقرى تظم مسجدا أو عددا من المساجد، إضافة إلى ما يسمى بالجامع الكبير أو العتيق مثل الجامع الكبير بالعاصمة، والذي كان يعقد به أسبوعيا المجلس الشريف كما كان للمساجد أهمية بالغة ومكانة مرموقة في حياة كل جزائري، فهي الأماكن التي تؤدي فيها الصلوات الخمس والجمعة والأعياد، ولهذا اكتسبت طابعا دينيا وأخلاقيا واجتماعيا وحتى ثقافيا، وأصبح تأثيرها متعدد الأدوار والنشاطات، وهذا في جل ربوع الجزائر (حيث لا تخلوا قرية أو مدينة من مسجد أو عدة مساجد، فهي فضاءات للالتقاء والتجمع، وأماكن للعبادة والعلم²

1 - أبو القاسم بعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 245.

2 - أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص 243.



ومع بداية الاحتلال تميزت الجزائر بكثرة المساجد وانتشارها وفي هذا الإطار تشير بعض التقارير أنه كان يوجد بمدينة الجزائر لوحدها ما يربو عن الـ 92 مسجدا مالكي، والـ 14 مسجد حنفي¹، وهذا حسب إحصائيات وزارة الحربية الفرنسية (1838)، وقد بلغت 100 مسجد وزاوية في قسنطينة (1837).²

ولإدراكها لأهمية المسجد في توعية وتثقيف وتعليم الفرد الجزائري فسارعت الإدارة الفرنسية منذ البداية للانقضاض على جل المساجد، والسيطرة عليها، وتضييق الخناق على القائمين عليها، من أئمة ووكلاء، بل وتصرفت في إدارتها.³

ورغم طابعها الديني ومكانتها لدى الشعب الجزائري فإنها لم تسلم من التهديم، أو تحويلها إلى كنائس وثكنات للجيش والجمعيات الدينية الفرنسية.

ومن جراء هذه الممارسات الاستعمارية انكمش وتناقص دور المساجد من الناحية العلمية، وتضاءل عدد طلابها وشيوخها.

وساهم الدافع الديني بشكل واسع في هذه الحرب المعلنة وذلك بمحاولة تنصير المسلمين الجزائريين والقضاء على إحدى مظاهر الدين الإسلامي وهي المساجد، ومنذ الأيام الأولى للغزو حولت العديد منها إلى مراكز إدارية وعيادات طبية، وإسطبلات ومستودعات وكنائس⁴ كمسجد كنتشاوة*، في الـ 24 ديسمبر 1832 والذي أصبح كاتدرائية القديس فيليب، ونفس المصير آلت إليه مساجد قسنطينة كجامع سوق الغزل، ومسجد أحمد باي، ومساجد وهران كمسجد محمد الهواري وجامع خنق النطاح، ومساجد معسكر كجامع عين البيضاء والتي حول بعضها إلى مخازن للذخيرة الحربية، ومخازن للحبوب وغيرها من الاستعمالات

¹ - محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي وحمدان جوجة ويوضرية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 197.

² - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 246

³ - محمد الطمار، المرجع السابق، ص 261

⁴ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص ص 58-59

كما دمر بعضها كجامع السيدة في مدينة الجزائر، وهذه عينة لبعض المساجد التي استولى عليها الفرنسيون في العامين الأوليين من الاحتلال في مدينة الجزائر لوحدها (1830 - 1832).

2- المدارس التعليمية (القرآنية):

ويدخل في إطار المدارس التعليمية* ما يسمى بالكتاتيب، والتي تعتبر المؤسسة التعليمية الأولى، ونستطيع أن نقول أن لها مكانة المدرسة الابتدائية في وقتنا الحاضر، وقد كانت منشرة في الجزائر أواخر العهد العثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي، وهي الأماكن التعليمية القاعدية في حياة الأطفال المتمدرسين والذين يتلقون فيها أساسيات القرآن الكريم، وأبجديات الكتابة، وبدايات حفظ كتاب الله الكريم، وأولويات علوم اللغة والشريعة لمساعدتهم في الانطلاقة في المساجد والزوايا، وكان يطلق عليها اسم (المكتب) أو المسيد في المدن، والشريعة في البوادي والأرياف.¹

أما عن مهمة الكتاب فتشمل حفظ كتاب الله للصبية، وتعليمهم القراءة والكتابة وشيئا من الحساب، وعدد مراتديها قد يكون ما بين الـ 15 والـ 20 طفلا، أما عن المدة الزمنية (الدراسية) فتستمر من ثلاث سنوات إلى أربع سنوات، وهناك من يداوم من أجل التعليم أكثر وحفظ كتاب الله كله.²

وعرفت الجزائر في أوائل الاحتلال انتشارا واسعا للمدارس التعليمية خاصة في الجزائر العاصمة، والتي قدرت بـ 100 مدرسة.

22- أبو القاسم سعد الله محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 162

² - يحي بوعزيز أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر، خلال القرنين الـ 19 و 20، بحلة الثقافة، العدد 63، 1989، ص



وفي قسنطينة كثرَت المدارس التعليمية في السنوات الأخيرة من التواجد العثماني، وعند دخول الفرنسيين المدينة في 1837، وجدوا بها ما يربو عن الـ 90 مدرسة ابتدائية، و7 مدارس ثانوية وعالية، وبتلمسان قدرت بـ 50 مدرسة ابتدائية ومدرستين للتعليم الثانوي والعالي.¹

ولنا أن نتساءل كيف آلت الأمور في هذه المدارس حينما سيطر الفرنسيون على حل المدن الجزائرية بعد سنوات قليلة؟

إن الاستعمار الفرنسي الغاشم لم يدع معلما من معالم الحضارة العربية الإسلامية في الجزائر إلا وقام جاهدا من أجل تقويضها وتحطيمها بشتى الوسائل والأساليب، وبالتالي تعرضت المدارس التعليمية، ومنها المدارس القرآنية ومنذ بدايات الاحتلال للمضايقات والهدم وتعطيل مهامها وأدوارها التعليمية والتربوية وبالتالي تضاعف عددها حتى انعدمت في بعض الجهات من الوطن، وتناقص عدد طلابها وكان مصير بعضها الهدم، وتحويلها إلى استعمال لأغراض أخرى وإعطائها إلى بعض الجمعيات الفرنسية².

ومن المدارس التي تعرضت للهدم وعلى مدار السنوات الأولى للاحتلال وفي مدينة الجزائر وحدها:

مدرسة جامع السيدة وهدمت مع الجامع سنة 1830 وهي أول عملية هدم قامت بها السلطات العسكرية الفرنسية لمؤسسة ثقافية.

مدرسة (جامع خير الدين) أو جامع الشاوش، هدمت مع قصر الجينية 1831.

- مدرسة ساحة الجينية، قرب راوية الأشراف، وقد بيعت إلى أحد الأوربيين سنة 1832.

- مدرسة جامع الحاج حسين، وهدمت مع الجامع سنة 1836.

- المدرسة ستي مريم (جامع بن نيقرو هدم سنة 1838

1 - أحمد مريوش: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة

الوطنية، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين الجزائر، ص 15

2 - أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص 38

- مدرسة الدالية حرّيت في 1839
 - مدرسة (مسيد) الدالية، حرّبت في 1839
 - مدرسة شيخ البلاد، هدمت سنة 1848¹
- وفي قسنطينة تراجع عدد المدارس التعليمية (القرآنية) في سنة 1847 أي بعد عشر سنوات من الاحتلال الفرنسي إلى ثلاثين مدرسة، وهذا نتيجة للاحتلال وسياسته الرامية إلى تحطيم وتخريب كل ما يرمز للعروبة والإسلام في هذه الديار، حيث هدمت بعض المدارس وخرّبت أخرى، بينما حولت البقية منها إلى مهام أخرى لصالح الجمعيات التبشيرية والكنائس والمدارس الفرنسية.²

وما يقال عن مدارس مدينة الجزائر وقسنطينة يقال عن مدارس عنابة وبجاية ومعسكر ، خاصة بعد السيطرة على مصادر الأوقاف الإسلامية، وتعطيل مواردها ومن جراء ذلك تعطلت أدوار المدارس وفتّر نشاطها.

وبالتالي كان هدف الإدارة الاستعمارية ومنذ البداية محاولة القضاء نهائيا عن هذه المدارس الأصلية واستبدالها بهياكل فرنسية قصد تحويل أبناء الشعب الجزائري عن مدارسه والالتحاق بالمدارس التي أنشأتها.

3-المكتبات:

" تعد المكتبات ماضيا وحاضرا، المرأة العاكسة لتاريخ الشعوب والأمم، وأساليب معيشتها، وحضارتها في حفظ سجلات المعلومات التي تمثل ذاكرتها الجماعية، والإرشاد إليها باعتبارها إحدى وسائل المعرفة والثقافة، وحرية الفكر، والمبادئ والقيم التقدمية توجيه

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص ص 39-40

2 - نفسه، ص 44



الأفراد من الباحثين و العلماء، والمفكرين، والطلبة في المساهمة لتطوير المفاهيم الإنسانية وتقدم المجتمعات" ¹.

ولأهمية المكتبات في إثراء الحياة العلمية والفكرية، وحفظ الكتب والمخطوطات والوثائق والكتب المطبوعة عن تاريخ الجزائر وعلومها، اعتنى بها الجزائريون في أواخر العهد العثماني عناية فائقة، وهذا إكراما للعلوم الشرعية ونسخ القرآن الكريم، التي حملتها صفحات الكتب والمجلدات، وكذلك المعرفة قيمة العلم في حد ذاته، وهذا رغم عدم اهتمام الحكام الأتراك لهذه المؤسسات (المكتبات)، وقد انقسمت المكتبات إلى مكتبات عامة، وأخرى خاصة، والمقصود بالمكتبات العامة هي تلك الخزائن من الكتب الملحقة بالمساجد الكبرى والزوايا والمدارس.

وقد كانت الجوامع الكبرى تحتوي على خزائن من الكتب والمخطوطات الموقوفة على فئة الطلبة والعلماء، ومنها مكتبة الجامع الكبير بمدينة الجزائر.

كما كانت الزوايا تحتوي على كتب كثيرة وأغلبها في مجالات العلوم الدينية والمسائل الفقهية والأدب وغيرها، كزاوية القيطنة² التي نهل منها الأمير عبد القادر كما كانت هناك مكتبات ملحقة بمدارس مازونة، وزاوية شلاطة ببلاد القبائل وزاوية الخنقة قرب مدينة بسكرة، وقد طالع منها الطلبة والعلماء والأساتذة.

أما المكتبات الخاصة فإن المقصود بها تلك المكتبات التي كانت تمتلكها العائلات المشهورة بالعلم والنفوذ كعائلة الفكون بقسنطينة.

وبدخول الفرنسيين البلاد في 1830 واستيلائهم على أجزاء كبيرة من الأراضي ومن خلال حملاتهم العسكرية للسيطرة على المدن واحتلالها، والتي شملت قسنطينة وتلمسان ووهران ومعسكر وغيرها، اندهش الباحثون الفرنسيون المرافقون لهذه الحملات من كثرة الكتب

¹ - خيال محمد مهدي الجواهري: من تاريخ المكتبات في البلدان العربية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1992، ص 1.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 298.

والمكتبات وتتنوعها وأناقته ومن هؤلاء البارون ديسلان الذي كتب تقريراً عن حالة المكتبات في مدينة قسنطينة وهذا بعد احتلالها في سنة 1837. وكذلك شارل فيرو الذي وصف في كتاباته المؤسسات الإسلامية في قسنطينة والعائلات المشهورة بها كعائلة بن القنفذ، وعائلة الفكون التي كانت تملك مكتبة ثرية ومتنوعة¹.

وبمجرد أن بسط المحتلون الفرنسيون سيطرتهم على العديد من المدن الجزائرية حتى بدأوا في تطبيق السياسة الاستعمارية، وتحقيق الأهداف التي قدموا من أجلها، وهي الاحتلال الكامل لكل جهات الوطن ونهب ثرواته الاقتصادية، وقهر المجتمع الجزائري وإخضاعه وتقديره² وتقويض تركيبته الاجتماعية، والإجهاد على حل الهياكل الدينية والتعليمية ومنها المكتبات والتي تعرضت للنهب والسرقة من طرف الفرنسيين وهذا بعد كل حملة من حملاتهم على المدن والقرى الجزائرية³، وهذا قصد تجهيله والقضاء على ثقافة العربية الإسلامية الأصلية وتبديلها بثقافة المستعمر الفرنسي، ولن يتأتى ذلك إلا بمضايقة أصحاب المكتبات والمشرفين عليها، وتجميع المزيد من الكتب والمجلدات وإرسالها إلى المراكز والجمعيات الثقافية والدينية الفرنسية.

وبالمقابل سعت السلطات الاستعمارية لنشر الثقافة الغربية، وتعميم الأفكار الخاصة بالمجتمع الفرنسي والبعيدة كل البعد عن الثقافة العربية الإسلامية المتجذرة في كيان المجتمع الجزائري.

ولأجل ذلك عملت فرنسا على بناء عدة هياكل ومؤسسات ثقافية ومنها المكتبات والقصد منها نشر النماذج الأوروبية وبتث ثقافتها، وذلك من أجل تلميع صورتها وتحسينها أمام الشعب الجزائري من جهة، ومحاولة فك الارتباط بثقافته الإسلامية العريقة من جهة أخرى.

1 - سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 288

2 - مصطفى الأشرف الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي عيسى المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 83.

3 - أبو القاسم سعد الله المرجع السابق، ص 312-313.

وتجدر الإشارة إلى أن السلطات الفرنسية قد بنت عدة مكتبات، ومنها المكتبة الوطنية بمدينة الجزائر سنة 1835¹، والتي كان العرض من إنشائها استقبال المخطوطات والوثائق والكتب المطبوعة عن تاريخ الجزائر وعلومها ولم تفتح المكتبة أبوابها للقراء حتى سنة 1838².

وفي إحصاء لهذه المكتبة سنة 1841 ناهز عدد الكتب المطبوعة بها 1800 وكانت بالفرنسية واللاتينية ومنها مجموعة تخص منطقة شمال إفريقيا³.

واحتوت على 647 مخطوط منها 400 مخطوط قد جمعها بير بروجر أثناء الحملات العسكرية على قسنطينة ومعسكر وغيرها، وفيها كتب القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والعقائد وتفسير القرآن والصاح الخ، وقدرت بـ 450 كتاب في الفقه المالكي والحنفي حوالي 200 مخطوط أما في مجال اللغة العربية وآدابها فضمت المكتبة أكثر من 600 مخطوط ومنها القاموس للفيروز أبادي والصاح للجوهري والألفية لابن مالك والأجرومية في النحو في النحو، والدواوين الشعرية والتي قدرت بـ 300 مخطوط والتي كانت تتطرق إلى شيخ الأغراض الشعرية كديوان الحماسة والمعلقات ولامية العجم والأناشيد الدينية إضافة إلى أشعار كانت باللسان العربي الدارج⁴.

أما في التاريخ والتراجم فإن المكتبة ضمت حوالي 50 مخطوط ومنها كتاب الجمال للشاطبي وكفاية المحتاج والأمثال للميداني وفي 1846 ناهزت المؤلفات والمجلدات في المكتبة الوطنية 1473 مجلد مختصة في ميادين العلوم والمعرفة، وخصص جناح للكتب والوثائق والأوراق التي تخص تاريخ الجزائر وضحاتها بالعربية والتركية وبلعت المخطوطات

1 - أحدث هذه المعلومة من مقال غير الانترنت بعنوان "المكتبات العامة بالجزء خلال فترة الاحتلال الفرنسي (1830-

1962) Alyassir net wb/showthread المنتدى العام للمكتبات والمعلومات، 26 جويلية 2008

2 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، المرجع السابق، ص 340

3 - نفسه، ص 341.

4 - نفسه، ص 342.

العربية في هذه السنة داخل المكتبة 687 مخطوط وتتنوع مواضيعها في شتى أنواع المعارف الإنسانية كالتيولوجيا والفقہ الإسلامي واللغات والآداب والأخلاق والرياضيات والفيزياء والزراعة والطب والتاريخ والجغرافيا والتراجم والخرائط.¹

والملفت للنظر أن الظروف المعيشية لبعض مدرسي الجزائر وعلمائها قد جعلتهم يبيعون مخطوطاتهم

القيمة والثمينة وقد استفادت المكتبة من هذه الظروف وتمكنت من شراء مجموعة هامة في 1849.²

المبحث الثاني: حالة التعليم العربي التقليدي:

1- حالة التعليم العربي في ظل الاحتلال:

كان التعليم في الجزائر منتشرا انتشارا واسعا وأواخر أيام العهد العثماني وعشية الاحتلال عبر كامل تراب الإيالة وفي هذا الإطار يقول (أو حن لومب) : " مما لا شك فيه أن التعليم في الجزائر خلال 1830 كان أكثر انتشارا وأحسن حالا مما هو عليه الآن، فقد كان هناك أكثر من ألفي مدرسة للتعليم بدرجاته المختلفة ، فضلا عن مئات المساجد "³

وكتب الجنرال دوماس في تقرير له: " إن التعليم الابتدائي بالجزائر كان أكثر انتشارا مما كنا نعتقد ، وعلاقاتنا بالأهالي في المحافظات الثلاثة ، بينت أن متوسط الأشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابة من جنس الذكور كانت على الأقل مساوية لتلك التي بينتها إحصائيات المحافظات في فرنسا "⁴

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، المرجع نفسه، ص 344-345.

2 - نفسه، ص 347.

3 - محمد الطمار، المرجع السابق، ص 261-262.

4 -Yvonne Turin- affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, écoles, médecines, religions 1830-1880, 2 Ed, Alger, Entreprise national du livre p127.

وكذلك: العيد مسعود: حركة التعليم في الجزائر، مجلة سيرتا، العدد الثالث، الجزائر 1980، ص 64.



وحتى في السنوات الخمس الأولى تؤكد التقارير الفرنسية أن التعليم في الجزائر كان يعرف نوعا من الانتشار في المدن والأرياف ، ومنها تقرير الجنرال (فالازي) سنة 1834 والذي يقول " جميع العرب تقريبا يعرفون القراءة والكتابة وتوجد في كل قرية مدرستان " - ولكن ما لبث أن تدهورت حالة التعليم ، وقل نشاطه وخدمت حركته وهذا جراء الظروف السائدة ومنها الاحتلال وسياسته الرامية إلى القضاء على الثقافة الجزائرية ، وذلك بتهديم المؤسسات التعليمية من كتاتيب ومدارس ومساجد وزوايا ، وتهجير العلماء والتضييق عليهم ، وتقزيم دور التعليم العربي الإسلامي في محاولة منها لطمس معالم الحضارة العربية الإسلامية في الجزائر .

كما صادرت أملاك الأوقاف من أوقاف المساجد والزوايا وغيرها وهي التي كانت قواعد للعلم والفقهاء ، وأهمل التعليم الثانوي والعالي واستمرت هذه الحالة لوقت لاحق¹.

ومن خلال هذه السياسة الاستعمارية الساعية إلى القضاء على التعليم التقليدي ، والرامية إلى تجهيل أفراد الشعب الجزائري ، ومحاربته بجميع الوسائل ومنها حصاره بالمدرسة الفرنسية ، وجر الجزائريين إلى إدخال أطفالهم في مدارسها لا سيما في المدن الكبرى².

ومنذ البداية رسمت الإدارة الاستعمارية سياستها تجاه التعليم في الجزائر على النحو

التالي :

- هدم وتقويض ومضايقة المؤسسات التعليمية وضم مداخيلها إلى الخزينة العامة والتصرف في إدارتها.

- إنشاء الهياكل الثقافية والتعليمية الفرنسية لخدمة المستوطنين وسحب الجزائريين من المدارس والمساجد والزوايا ونشر الثقافة والنماذج الفرنسية عوضها³

1 - أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق (ج 3) ص . 57

2 - نفسه، ص172

3 ظهور أول مدرسة فرنسية رسمية في الجزائر، وسميت مدرسة التعليم المشترك في 1833، وعدد طلابها 200، وقيل أن بعض الجزائريين قد دخلوها.



- محاربة التعليم العربي الإسلامي وذلك بالتضييق على العلماء وشيوخ الزوايا والمرابطين واستمالة بعضهم بالمناصب الإدارية والزواج المختلط، وتشجيع الدروشة والدجل.

- اختزال وتقييد دور التعليم الأصيل لينحصر في تحفيظ القرآن الكريم دون شرح أو تفسير، وتعليم قواعد اللغة العربية دون فهم وإيضاح¹.

ومن جراء هذه السياسة الاستعمارية المنتهجة تراجع انتشار التعليم في الجزائر تراجعاً ملحوظاً، وهذا في الفترة الممتدة ما بين (1840-1850) فمثلاً في مدينة الجزائر التي كانت تتواجد بها خلال 1840 حوالي 24 مدرسة تستقبل أكثر من 600 طالب، لم يبق منها في 1846 سوى 14 مدرسة لتعليم حوالي 400 طالب وكذلك قسنطينة فقد تراجع عدد مدارسها وطلابها بعدما أن كانت تستقبل هياكلها التعليمية في 1837 ما بين 600 و700 طالب وهذا في طوري التعليم الثانوي والعالي، و90 مدرسة ابتدائية يتردد عليها ما بين 1300 و1400 طفل، ولكن مع حلول 1847 تقهقر عدد الطلاب في الثانوي إلى 60 طالبا فقط، وفي الابتدائي لما يتجاوز 350 طفل، وكذلك أصبح حال التعليم في العديد من المدن الجزائرية كوهران، وتلمسان، ومعسكر وغيرها.

وانحصر نشاط التعليم الأصيل في الجزائر داخل المدارس القرآنية، وعلى النقيض لم يسمح بمزاولته في المساجد والزوايا لاعتبارات منها تخوف المستعمرين من استغلال هذه المؤسسات الدينية في الدفع بأبناء المجتمع الجزائري لنشر أفكار الجهاد ومقاومة الاستعمار الفرنسي، وحتى إن سمحوا بمزاولته فإن مجاله كان محدوداً، لا يتعدى حفظ القرآن الكريم، وأبجديات اللغة العربية وبعض قواعدهما.

كما عرف التعليم في الجزائر خلال هذه الفترة هروب العديد من الطلبة، وبعض الأساتذة والمدرسين إلى المناطق التي لم يصلها الاحتلال الفرنسي كمطقة زواوة، والأوراس والصحراء، والمناطق التي شهدت مقاومة الأمير عبد القادر، والذي في عهده واصل التعليم

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق (ج3)، ص173.

بريقه وبنوع من التحدي خاصة وأن الأمير عبد القادر شجع على القراءة والكتابة رغم الحرب المعلنة ضد الغزاة، بل واهتم بتعليم الصغار والكبار وقام هو نفسه بهذه المهمة.

وعن موقف الأمير عبد القادر من التعليم يقول (الإسكندر بيلماري): "لقد جعل التعليم مهمة أساسية باعتباره سلطانا ومسلما، كما جعل من مهامه الأساسية رفع شأن الدين والعلم، ولكي ينتعش الدين الذي حارب به الفرنسيين، أنشأ الأمير مدارس يتعلم فيها الأطفال الصلوات وقواعد الإسلام والقراءة والكتابة، أما الذين يرغبون منهم في مواصلة التعلم فكان عليهم أن يتوجهوا إلى الزوايا والمساجد¹.

وواصلت المدن التي كانت تحت حكم دولة الأمير عبد القادر أدوارها ونشاطاتها التعليمية كمدن معسكر، ومازونة والمدية، ومليانة وتاقدامت وغيرها من المدن، حتى والتي قدمت مساجدها ومدارسها وزواياها الدروس المطلوبة لمريدي وطالبي العلم، وهذا حتى سنة 1843 رغم الحروب التي كانت بين الأمير عبد القادر والفرنسيين ورغم ظروف الحياة الصعبة ومطاردات العدو.

ومن جهة أخرى واصلت مدارس ومساجد وزوايا المناطق التي لم يصلها الاستعمار الفرنسي مهامها التعليمية كزواوة، والأوراس والصحراء بشكل عادي ومألوف ووفقا للمناهج والأطوار والدروس المعهودة والمعروفة منذ الفترة العثمانية.

ومن الملاحظ أن التعليم العربي الإسلامي في الجزائر كان تقليديا وخاص أي لم يكن تحت وصاية الدولة بل كان حرا، ومصادر تمويله متنوعة من الأوقاف وتبرعات الأغنياء والمحسنين، كما أنه مرتبط ارتباط وثيق بالعبادات والجوانب الدينية، أي أن التعليم لا يخرج من كونه عبادة من العبادات، ولم يكن موجها للاستعمال في الحياة اليومية كعلوم الطب والهندسة.

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص46، 47.



2- مناهج التعليم وأطواره:

حافظ التعليم في المرحلة الابتدائية على نفس الطريقة التقليدية، حيث كان المنهج التعليمي والتربوي موحد في أغلب التراب الجزائري، أي أن التعليم في المدارس القرآنية له نفس المواصفات والسمات في أغلب مناطق الجزائر وكان على رأس كل مدرسة أحد العزابة، وهو الذي يدير شؤونها، وهو أيضا القائم على التربية والتعليم فيها.

وتعدد وظائف ومهام هذه المدارس من تربية الأطفال وتعليمهم وتحفيظهم القرآن الكريم، وأبجديات القراءة والكتابة والرسم القرآني، وحفظ بعض الأحاديث، وأداء الصلوات.

وغالبا ما يذهب الأطفال إلى الكتاب أو المدرسة القرآنية مرتين في اليوم، مرة في الصباح، وأخرى في المساء، ويمكنون فيها ساعتين أو أكثر، ويجلسون على شكل حلقة حول المعلم أو المؤدب، وفي الكتاب يتلقى الأطفال مبادئ القراءة والكتابة أولا، ثم حفظ القرآن الكريم ثانيا¹. ويستظهرون ما حفظوه من سور القرآن الكريم على المعلم.

كما يعتمد التعليم في هذه المرحلة على الحفظ، ويداوم الطلبة على حفظ القرآن على رواية ورش وقالون وغيرها، وغالبا ما تستعمل العصا وهذا لإبقاء النظام وجلب الاهتمام والانتباه والتركيز، وليس القصد من استعمالها هو العقوبة في حد ذاتها.

كما كانت العلاقة بين التلميذ والمعلم أساسها احترام الصغير للكبير وتقدير المتعلم للمعلم، وخصوصا احترام وتبجيل حفظة القرآن الكريم وأهل العلم، وغالبا ما ينهي التلميذ حفظ القرآن الكريم في سن العاشرة أو الثانية عشر.

أما عن مدة الدراسة في هذه المرحلة فتدوم حوالي 4 سنوات، وإذا كان الفقراء يكتفون بهذا القدر من التعليم فإن الأغنياء والراغبين في المزيد من التحصيل العلمي يواصلون تعليمهم، وبذلك يدخلون في طور الثانوي.

¹ فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 86.

و الملاحظ أن مراحل التعليم لم تكن متميزة عن بعضها كالوقت الحاضر، وإنما كانت في أغلب الأحيان متداخلة في بعضها البعض، وكانت الزوايا والمساجد تؤدي مهمة التعليم بجميع أشكاله، زيادة عن كونها مساكن للطلبة خاصة الغرباء منهم، غير أنه تخصصت بعض الجوامع الكبرى، والزوايا في الدراسات العليا¹.

ويواصل التلاميذ تعليمهم الثانوي في الجامع أو المدرسة الملحقة بالأوقاف والزوايا، كما كان هذا العليم مجانيا، ويتلقى الأستاذ أو المدرس أجرته من الأوقاف، وغالبا ما يجمع مهمته التعليمية بوظيفة أخرى كالفتوى أو القضاء.

أما عن البرامج الدراسية في التعليم الثانوي فإنها اشتملت على النحو والتفسير، وحفظ المتون والمطالعة والتوحيد، ويتوج الطالب في النهاية "بإجازة" تشهد بأنه قد درس كل العلوم التي تدخل في إطار تخصصه، ولم تكن الإجازة شهادة مكتوبة بل تعبيراً شفوي من الأستاذ إلى التلميذ، ومتى نال هذه الإجازة يصبح "طالباً" وبذلك يمكن له قراءة القرآن الكريم، وتولي مهمة المؤدب أو الكاتب، ويستمر التعليم الثانوي 07 سنوات كاملة².

ولم يكن هناك فصل واضح بين التعليم الثانوي والعالى، كما كان المدرس أو الأستاذ الذي يدرس في التعليم العالى يسمى "عالماً" وتعطى الدروس في الزوايا المعروفة بالعلم والتحصيل العلمي الجاد، والساعية إلى رفع مستوى التعليم والاجتهاد فيه، وكذلك بعض الجوامع الكبرى، وتتألف دروس التعليم العالى من الفقه وأصول الدين والتوحيد، والحديث، والحساب والفلك، والتاريخ والجغرافيا والطب العام. إلا أنه غلب على الدراسة طابع التقليد والحفظ وقلة المبادرة وقلة التجديد³.

3-المدرسون: تعتبر وظيفة التدريس من أشرف الوظائف وأنبى المهام، وأشدّها تماسكا بالدين والجهاد في سبيل الله ورغم ذلك فإن هذه المهنة كانت من أكثر المهن فقرا لصاحبها.

¹ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ص163.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (ج3)، ص164.

³ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ص، ص 164، 165.



والمدرس عمدة التعليم، وناشر العلم بين فئات المجتمع الجزائري بأقواله سلوكاته، ولذلك جلب احترام وتقدير الناس له.

كما كان لوظيفة التدريس مرتبا متداخلة أحيانا وهي: مرتبة المؤدب والذي يقوم بتعليم وتربية الصبيان في الكتاتيب والمدارس القرآنية، ومرتبة المعلم أو المدرس وهو القائم على تدريس الفتيان حتى سن العشرين ونحوها.

وكذلك مرتبة الأستاذ أو الشيخ الذي يدرس الفئات الكبرى وذي المستويات المعينة كفئة الطلبة وتتدخل هيئة الأوقاف في انتقاء المدرس لتولي الوظيفة وهي كذلك المسؤولة عن راتبه الشهري.

وتشابه وظائف ومهام المؤدب في القرية ومثله في المدينة مع فارق طفيف وهو أن أهل الأرياف يطرحون على المؤدب مسائلهم وانشغالاتهم في مجالات الفقه والفتوى، وإمامة الصلوات، وفض النزاعات بين المتخاصمين¹.

وفي غالب الأحيان فإن المعلمين موظفون لا سيما في الحواضر، ويمارسون مهامهم في الكتاتيب والمدارس القرآنية التابعة للمساجد والزوايا. والملاحظ أن المساجد تتكفل برواتبهم²، والزوايا بإيوائهم إن كانوا غرباء عن المدينة أو القرية.

-وفي بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر تأثرت هذه الفئة كبقية فئات المجتمع الجزائري بممارسات الإدارة الاستعمارية، وهي التي شددت الخناق على بعضهم، وحاولت إغراء البعض الآخر وبالفعل فقد تمكنت من توظيف العديد منهم في مناصب التدريس والإفتاء والقضاء، بينما نفي البقية الباقية منهم إلى خارج الوطن وهم الذين لم يجاروها في سياستها

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص335.

² العيد مسعود، المرجع السابق، ص67.

الرامية إلى احتواء هذه الفتنة من أجل استخدامها وتهجين التعليم العربي الإسلامي ليصبح يتماشى مع رؤيتها الاستعمارية.

ورغم ذلك واصل المدرسون في مدينة الجزائر وغيرها من المدن رسالتهم التعليمية والتربوية، خاصة أولئك الذين عاصروا وعاشوا أحداث الاحتلال في أيامه الأولى، والذين لم يقطع عنهم سند العلم والمأخوذ عن كبار العلماء بالدرس والحضور والإجازة.¹ كمحمد بن الشاهد، ومصطفى الكبابطي، وعلى المنجلاتي ومحمد بن العنابي. وهذا طيلة الثلاثينيات من القرن التاسع عشر.

وجاء جيل آخر من المدرسين وهو جيل الأربعينيات والذي توظف بعض رجاله عند الإدارة الفرنسية، في وقت كان التعليم يشهد الإهمال التام، ومصادرة الأوقاف الإسلامية، وهدم المدارس التعليمية، ومحاضرة المساجد وتغيير نشاطاتها، ومراقبة الزوايا، ومحاربة أعلام الفكر والثقافة.

وشهدت هذه العشرية من القرن التاسع عشر توظيف الإدارة الفرنسية لعدد من المدرسين الجزائريين في ميادين التدريس والإفتاء والقضاء كما هو الحال عند مصطفى القديري المعروف باسم مصطفى بن أحمد، والذي تولى وظيفة التدريس ووظيفة الإفتاء على مذهب الإمام مالك بن أنس في الجامع العتيق بمدينة الجزائر وهذا مكان الشيخ مصطفى الكبابطي، والذي عزله "بوجو" لعدم قبوله فتح المدرسة القرآنية لتعليم اللغة الفرنسية، وكان الشيخ القديري طوع أمر الإدارة الفرنسية، ولا يعرف له تأليف أو تصانيف.²

وكذلك محمد الأرنؤوط والذي تولى وظيفتي التدريس والإفتاء وكان يتبع المذهب الحنفي، ومعاصر لزميله القديري، وتولى مهمة التعليم سنة 1835، وبقي في هذا المنصب حتى سنة 1842، واستقال من وظيفة التدريس معتذرا بالسفر إلى الأراضي المقدسة للحج،

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق (ج3)، ص. ص 72 . 73.

² أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص73.

ثم رجع إلى الجزائر وتولى فيها التدريس سنة 1845 وحتى وفاته، وغيرهما من المدرسين والأساتذة الذين تقلدوا مناصب إدارية في بدايات الاحتلال إضافة إلى مهمة التدريس.

وفي المناطق التي لم تصلها أيادي الفرنسيين. واصل المدرسون والأساتذة والمشايخ مهامهم التعليمية بشكل اعتيادي ومألوف، ولكل حرية، ولنأخذ نموذجا عن كيفية مزولة المدرس أو القائم على أمر التعليم في مساجد وزوايا توات* والتي لم تحتل حينذاك¹، حيث "يتولى التعليم فيها فقيه الزاوية وإمام المسجد، ونظام العمل الدراسي اليومي يسير سهلا ميسورا، فالفقيه أو الإمام هو الأساس ولا يشاركه أو يعاونه أحد في تعليم الطلبة، حيث يتلقى الطلبة كافة علومهم على يديه في صحن الزاوية أو المسجد، وهناك يجلسون على هيئة دائرة وشيخهم في وسطها، ومع كل واحد منهم لوحه وكتبه، وتستمر الحلقة غالبا صبح كل يوم منتصف النهار، وبعدها ينصرف الطلبة لتناول الغداء وتبدأ الفترة الثانية، بعد صلاة العصر، وتستمر غالبا حتى وقت صلاة المغرب.²

4- العلماء: ساهمت المدرسة الجزائرية التقليدية، والمتمثلة في المؤسسات الثقافية المعهودة كالمدرسة القرآنية، والمسجد، والزاوية في تكوين وتخريج فئة العلماء، وبرز العديد منهم لا سيما في العلوم الدينية وما تعلق بها كالفقه والتفسير، وأصول الدين..... واللغة العربية وآدابها كالنحو والبلاغة والشعر.

وبعد التحصيل العلمي والإجازة العلمية يمارس في الغالب العلماء مهامهم وأدوارهم ومنها:

- تعددت وظائف ومهام العلماء في بدايات الاحتلال الفرنسي وتمثلت في عدة وظائف ومهام كالقضاء والإفتاء والخطابة والإمامة والتدريس.

* لم تصل الجيوش الفرنسية هذه الأقاليم إلا بعد حملات عسكرية عديدة من ضمنها الحملة على تيديكت في 1898، واستولوا على كافة الإقليم (توات) في جويلية 1900.

¹ محمود فرج محمود: المرجع السابق، ص12.

² نفسه، ص86.

- وقد تجتمع هذه الوظائف أو المهام في عالم واحد، فتجده قاضيا، يفصل في الخصومات ويصدر الأحكام الشرعية، وتجده مفتيا يفتي للناس في المسائل الفقهية والدينية عموما، وتجده إماما يؤم الناس للصلوات المفروضة وخطيبا مفوها بالمساجد في خطبة الجمعة، وخطبتي العيدين.

وقد يجمع العالم بين وظيفتين فقط كالإفتاء والتدريس، أو القضاء والتدريس.

كما كان لهؤلاء العلماء أدوارا سياسية واجتماعية كإصلاح ذات البين بين أفراد المجتمع الجزائري، وإرشاد الناس وتوجيههم، والدعوة إلى رص الصفوف وشحذ الهمم بالنداء للجهاد في حالات الحروب أو الاعتداءات على حرمة الوطن، والوقوف في وجه القرارات الجائرة والصادرة عن الإدارة الاستعمارية، ونذكر على سبيل المثال تصدي علماء وأعيان مدينة الجزائر لقرار 07 ديسمبر 1830 ومنهم الشيخ الكبابي ومحمد بن العنابي وحمدان بن خوجة.

وغالبا ما يسمى العالم باسم المذهب الديني الذي ينتسب إليه وهو تقليد عثماني كالمذهب الحنفي، وخير من يمثله في بداية الاحتلال قاضي الحنفية وقاضي المالكية وهو الذي يمثل أتباع المذهب المالكي، وهو مذهب أغلبية الشعب الجزائري وخير من يمثله القاضي المالكي الشيخ مصطفى بن الكبابي وبرز في بداية الاحتلال عدة علماء تعددت وظائفهم في القضاء والتدريس والإفتاء وكان محمد بن العنابي ومصطفى بن الكبابي في مدينة الجزائر من أهم هؤلاء العلماء العاملين لا سيما وأنها كانا أول من وقف في وجه ممارسات الإدارة الفرنسية:

الشيخ مصطفى بن الكبابي وهو شاعر وسياسي من فقهاء المالكية، تولى الإفتاء في مدينة الجزائر بداية الاحتلال، وعاصر غزو الجيوش الفرنسية لمدينة الجزائر، وكان من المعارضين لقرارات الإدارة الفرنسية ومنها قرار مصادرة الأوقاف الإسلامية والتصرف في املاكها في الـ 07 ديسمبر 1830.

وقد عزل من منصب القاضي المالكي من طرف الجنرال "بيجو" وذلك لرفضه فتح المدرسة القرآنية للمعلم الفرنسي لكي يعلم فيها اللغة الفرنسية للأطفال¹ وتوفي بالإسكندرية في مصر سنة 1860.

ومحمد بن محمود العنابي وهو من أوائل المجددين، ودعاة الإصلاح في الجزائر والعالم الإسلامي، وباحث من فقهاء الحنفية في الجزائر، قاض، وشاعر وقد عاش ابن العنابي عمرا حافلا بالإنتاج العلمي والاضطراب السياسي، وولد في مدينة الجزائر سنة 1775² وتوفي بالإسكندرية بمصر سنة 1850.

ومن آثاره (السعي المحمود في نظام الجنود) و(العزير في علم التجويد) وكان من علماء قسنطينة في بداية الاحتلال عبد القادر المجاوي، وعمار بن شريط الذي تقلد منصب المفتي المالكي ونظارة الأوقاف الإسلامية وكان من أهل البلاغة والأدب وتوفي قبل احتلال مدينة قسنطينة في 1834.

وعمار الغربي وهو شاعر وفقهه، ومفتي ومدرس في جامع سيدي علي بن مخلوف وكذلك جامع القصبه، ومدرسة سيدي الكتاني. وقد طال عمر الشيخ العلامة بن محمد بن الفكون والذي بلغ الـ 80 سنة. وقت احتلال الفرنسيين لقسنطينة.

وتجدر الإشارة إلى أنه من الفترة الممتدة من 1830 1871 عرفت الجزائر تناقص عدد العلماء وتبدد شملهم وهذا نتيجة للحروب الدائرة على أرض الوطن، وكذلك الممارسات الاستعمارية التي شددت الخناق على فئة العلماء وبالتالي كان مصير الكثير منهم الهجرة والنفي والعزل من المناصب، وكان ابن العنابي والكبابي والسكلاوي، وحمدان خوجة،

¹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص73.

² أبو القاسم سعد الله: رائد التجديد الإسلامي، محمد بن العنابي المتوفي 1850 صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود، ط2، دارب الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص21.

والقاضي عبد العزيز من هؤلاء الذين نفوا خارج أرض الوطن، أو الذين هاجروا إلى المناطق الجزائرية التي لم يسيطر عليها الفرنسيون بعد.

وبالمقابل فإن الإدارة الفرنسية قامت باستخدام بعض العلماء ومنحتهم وظائف رسمية في القضاء والإفتاء والتدريس في المساجد والمدارس الحرة.

المبحث الثالث: السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)

1- التعليم الرسمي الفرنسي (1830-1850):

من المعلوم أن التعليم الفرنسي جاء خدمة للمستوطنين الفرنسيين والأوروبيين على حد سواء وقد كانت هذه الجالية تزداد مع مرور السنوات أي منذ التحاقهم بالجزائر سنة 1830 حتى 1870، وقد قدرت أعداد هؤلاء بـ63497 بين فرنسيين وأوروبيين.

أما عن الأهالي الجزائريين فإن عددهم قد بلغ حوالي 1.5 مليون بداية 1830 و2.183.793 فيما بين 1850 و1856.

وأنشأت عدة مدارس ابتدائية في هذا الإطار لتعليم أبناء الجالية الفرنسية واليهودية فيما بين 1830-1832.

وظهرت أو مدرسة رسمية في الجزائر والتي سميت بمدرسة التعليم المشترك لتعليم القراءة والكتابة والحساب وافتتحت أبوابها رسميا في أبريل 1833 وضمت 200 تلميذ¹، وتقول بعض الروايات أنها ضمت بعض الأطفال الجزائريين، وفي سنة 1834 فتحت مدرسة أخرى أبوابها في مدينة عنابة وكان عدد التلاميذ الجزائريين لا يتراوح الـ12 طفل، وظهرت أيضا في هذه السنة مدارس مشتركة أخرى في مدينة الجزائر العاصمة ومنها المدرسة الابتدائية في دالي إبراهيم وأخرى في القبة 1835.

ولمداومة التعليم الثانوي (المتوسط) أسست السلطات الفرنسية مدرسة تعليمية لمواصلة التلاميذ دراستهم الثانوية وسميت "بكوليج الجزائر" وبالموازاة مع ذلك تواصل إنشاء

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص292.

المدارس الابتدائية المخصصة للفرنسيين والأوروبيين في كل من وهران التي تأسست بها أربعة مدارس سنة 1838 وفي عنابة خمسة مدارس.

وفي الأربعينيات اتسعت دائرة التعليم الفرنسي الرسمي وهذا جراء سيطرة السلطات الاستعمارية على العديد من المدن الجزائرية كقسنطينة والبليدة وبجاية وتلمسان وغيرها وقد تزايد عدد التلاميذ الأوروبيين بعد انتهاء مقاومة الأمير عبد القادر سنة 1847 وارتفعت من 7347 إلى 9679 نهاية 1850¹.

كما أنشأت عدة مؤسسات تعليمية لفائدة الأطفال الفرنسيين والأوروبيين خلال سنة 1848 وسميت - المخيمات الزراعية- وتراوح عدد طلابها ما بين 2000 و3000 طالب. أما عن التعليم الثانوي والمقصود بالتعليم الثانوي في تلك الفترة ما يسمى اليوم بمرحلة التعليم المتوسط وظهرت أو ثانوية فرنسية (متوسطة) في الجزائر سنة 1848 وتعتبر هذه الثانوية الأولى من نوعها منذ التواجد الفرنسي على أرض الجزائر.

انتسب عدد قريب لهذا "الكوليج" والذين كانوا من أبناء المستوطنين الفرنسيين إذ لم يتجاوز عددهم حتى سنة 1837 الـ 80 تلميذ ودرس التلاميذ في هذه المرحلة التعليمية اللغة العربية الفصحى واللاتينية والفرنسية والإغريقية والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والعلوم الطبيعية.²

وقد جرت تعديلات في هذا الطور التعليمي خلال سنة 1848 حيث ألغي اسم الكوليج وحل مكانه اسم (ثانوية الجزائر) وحافظت هذه الثانوية على مواد التدريس في هذا الطور التعليمي مع تغيير وحيد وهو أن تدريس مادة اللغة العربية أصبح بالعربية الدارجة بعدما كانت فصحى، والبرنامج الدراسي في ثانوية الجزائر كان ممثلاً لبرنامج الثانويات المتواجدة في فرنسا، ويتميز عدد الطلبة بالعدد القليل.³

¹ أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص294.

² أبو القاسم سعد الله، ت.ج.ث، (ج3)، ص298.

³ المرجع نفسه، ص300.



2- المدارس الشرعية الرسمية: 1850-1871

لم يعرف المجتمع الجزائري منذ بداية الاحتلال أي تجديد أو تنظيم من طرف الإدارة الاستعمارية في ميدان التعليم، فالمسلمون يتلقون تعليماً تقليدياً وبسيطاً في الكتاتيب القرآنية والمساجد والزوايا على نفقاتهم الخاصة ونفقات الأوقاف.¹

ولم تفكر الإدارة الاستعمارية في إنشاء تعليم في الطور المتوسط والثانوي إلا بعد عشرين سنة من الاحتلال أي منذ 1850، وتزامن ذلك مع تأسيس المدرسة العربية-الفرنسية² بمرسوم 14 جويلية 1850 والذي نقى على استحداث ست مدارس ابتدائية وفي كل من العاصمة ووهران وقسنطينة وعنابة والبليدة ومستغانم، أما في التعليم المتوسط فقد أنشئت له ثلاث مدارس في كل من قسنطينة والبليدة وتلمسان.³

وبموجب مرسوم 30 سبتمبر 1850 إتخذت تسميتها بالمدارس الحكومية الثلاث أو المدارس الرسمية أو المدارس الشرعية أو الفقهية، وقد كان الفرنسيون يطلقون عليها الاسم العربي وهو المدارس (les mederasas) ولا يسمونها **écoles** أو **lycées** أو **collages**، وقد جاءت هذه التسمية وهذا للمحافظة على تقاليد المجتمع الجزائري والذي يرى في المدرسة ذلك المكان المخصص لتدريس شتى العلوم والمعارف كالمدرسة الكتانية بقسنطينة، والمدرسة المحمدية بمعسكر، والمدرسة القشاشية بالعاصمة...

وظهرت هذه المدارس الابتدائية والمدارس الشرعية بعد ما أن قضى الغزاة الفرنسيون على جل المدارس التعليمية الأصلية (التقليدية) ومصادر أملاكها الوقفية غير أن الجزائريين قاطعوا هذه المدارس ولم يلتحق أبناؤهم بها وهذا لما تميز به الفرنسيون من عداة لكل ما هو عربي وإسلامي ولإدراك المجتمع الجزائريين للمرامي والأهداف التي جاء من أجلها

¹ إبراهيم لونيبي: القضايا الوطنية في جريدة المبعثر (1847-1870) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أبو القاسم سعد الله، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1993-1994، الجزائر، ص319.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (ج3)، ص343.

³ نفسه، ص367.



المستعمرون وهي الترويج للأفكار والمبادئ الأوروبية ونشر اللغة الفرنسية وفرنسة الجزائر في كل الأشياء.

وفي هذا الصدد يقول دي بوسيه: إن الهدف كان محو التعصب الديني والكرهية عن طريق التعليم بالفرنسية والحضارة والتقدم، وذلك لا يكون الا بإحداث لغة مشتركة في الجيل الصاعد وتقريبه من الفرنسيين بتبنيه نفس الأفكار ونفس المصالح¹.

ومنذ بداية الاحتلال إنصب الاهتمام بإتجاه السيطرة على التعليم من خلال التحكم في مؤسساته وهذا لاطهار النية في خدمة الشعب الجزائري عبر تعليمة تعليما دينيا غير الذي قدمته الزوايا والطرق الصوفية والتي حسبها أنها طبعته بالتخلف والتقليد.

وبالمقابل أبعدت الجزائريين عن علمائهم وحاولت قطع الصلة بين عن طريق التشكيك في قدراتهم وعدم مجاراتهم لمظاهر الثقافة والعصرنة ومن هنا جاء اهتمام الإدارة الإستعمارية بهذه المدارس، والتي تهتم بالدراسات الشرعية وتهدف إلى تكوين وتخريج إطارات وموظفين لحاجتها إليهم من خلال الإتصال بالأهالي كالعُدول والترجمة ومعلمي اللغة العربية وبالتالي برزت تجربة هذه المدارس كضرورة حتمية².

وأما من حيث الأهداف والبرامج فقد كانت المدارس الثلاث والتي تسمى بالفقهية أن برنامج هذه المدارس تضمن تدريس الفقه، والمواد الدينية.

ومنذ تأسيس هذه المدارس وابتداء من 1850 فقد أحصت مدرسة قسنطينة 28 طالب³، لكن سرعان ما انخفض عدد الطلبة إلى 09 طلبة سنة 1854م، وكانت أعمارهم تتراوح ما بين الـ20 والـ30 سنة، وكان البرنامج منظما على ثلاثة دروس رئيسية، حيث يدرس صباحا

¹ أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص330.

² محفوظ قداش والجيلالي صاري: الجزائر في التاريخ، المقاومة السياسية (1900-1954)، الطريق الاصلاحى والطريق الثوري، ت: عبد القادر حراث م.و.ك، الجزائر، ص229.

³ ايفون تيران، المرجع السابق، ص247.

الفقه (تعليق سيدي خليل)، وبعد الظهر تقدم دروس القواعد، وفي المساء تقدم دروس التوحيد (تعليق سيدي محمد السنوسي)¹

وفي الجهة الغربية فقد كانت مدرسة سيدي بومدين (تلمسان) المورد الرئيسي للعلوم والمعارف ورغم ذلك فإنها لم تستطع جمع العدد الكافي حيث تراوح عدد الطلبة المتمدرسين من 15 إلى 20 طالب، وهذا بسبب رفض الأهالي إرسال أطفالهم لهذه المدرسة.

ومنذ 1857 توالى المراسيم والقوانين الاستعمارية اتباعا وهذا قصد تنظيمها والنهوض بها لجعلها مقبولة لدى الأهالي، ومنها مرسوم 1857 والذي يفرض شهادة الكفاءة الإلزامية للطلبة وأكثر من ذلك ان يبدي الطالب ولاءه للإدارة الإستعمارية.²

واستمر هذا الوضع على حاله حتى جاء مرسوم 13 ديسمبر 1866 والذي اهتم بوضع النشاطات المستقبلية لخريجي المدارس الشرعية في مزاولة الدراسة في الطور الثانوي..

¹ Ounassa Tengour: La fin des Médressas ou la raison d'une aventure coloniale. Tlemcen et Constantine (1850-1880) (U.R.A.SC) P:09

² عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، شركة دار الأمة، الجزائر، 1999، ص60.

الفصل الثاني: المؤسسات الدينية

1- مؤسسة الأوقاف

2- الزوايا

3- الطرق الصوفية



الفصل الثاني: المؤسسات الدينية

المبحث الأول: مؤسسات الأوقاف:

1- حالة المؤسسات الوقفية عشية الاحتلال: يعتبر الوقف في الإسلام مصدرا من المصادر الداعمة والممولة للمؤسسات الدينية والتعليمية كالمساجد والمدارس والزوايا وغيرها، ومنذ نشأتها ساهمت وبشكل رائد وكبير في تنمية المشاريع الاقتصادية ومنحها للمؤسسة المحولة لها، وتعدى دورها الجانب الاقتصادي والاجتماعي، ليدعم الجانب الثقافي.

انتشرت الأوقاف في الجزائر في أواخر العهد العثمان في المدن والأرياف وشملت الأراضي الزراعية والعقارات، والحدائق والعيون والسواقي، ودعمت التعليم¹ والحج والصدقات والأعمال الخيرية وكان الهدف الرئيسي للأوقاف هو خدمة العلم ومساعدة المحتاجين وصرف مداخيلها للمؤسسات الثقافية العامة كالمساجد، والزوايا، والمدارس القرآنية، والمكتبات كما كانت هناك مؤسسات دينية لها أوقافها الخاصة بها كأوقاف

الحرمين الشريفين، وأوقاف الجامع الأعظم، والمساجد المالكية والحنفية والمياه والطرق، وأوقاف سبل الخيرات وأوقاف الأولياء والأشراف وأهل الأندلس.

وتمثلت أدوارها في النفقة على رحلات العلم والمدارس والطلبة وكان مردودها يعود خدمة المؤسسات الثقافية في أغلب البوادي والحوضر الجزائرية.²

2- سياسة الاحتلال اتجاه الأوقاف:

وبدخول الفرنسيين في الخامس جويلية 1830 واحتلالهم ما وجدواها أعداد هائلة من أملاك الوقف، ففي مدينة الجزائر وحدها بلغت 2600 ملكية، وعدد كبير في حواضر قسنطينة، وعناية ووهران ولم تمض سوى بضعة أشهر حتى أصدرت السلطات الاستعمارية

¹ أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة العصرية القاهرة، مصر، ص 122.

² ناصر الدين سعيدون المرجع السابق، ص 162



قرارا في الـ 07 ديسمبر من نفس السنة ويقضي بمصادرة الأوقاف الإسلامية في الجزائر، ومن خلاله تصرفت الإدارة الفرنسية في المؤسسات الوقفية كما يحلوا لها حيث حولت الكثير منها إلى مراكز طبية وإدارية وكنائس واستأجرت بعضها للتجار، ومنها ما حرب ومنها ما تعرض للهدم وتذكر التقارير الفرنسية أن جيش الاحتلال قد استولى على خمسة وخمسين ملكية تابعة للأوقاف مكة والمدينة، وعلى إحدى عشر ملكية للمسجد الكبير.¹

ويعتبر قرار الـ 07 ديسمبر من الخطوات الأولى التي حاولت لها سلطات الاحتلال التدخل في الشؤون الدينية للمجتمع الجزائري والقضاء على معالم الحضارة العربية الإسلامية، ورغم معارضة السكان لهذا القرار الجائر وعلى رأسهم العلماء والقضاة ورجال الدين كالحاج محي الدين أنها العرب، ومحمد بن محمود العناني،² وابن الكبابي وحمدان خوجة، واستيائهم من هذه الممارسات ضد المؤسسات الوقفية، فإن الإدارة الفرنسية حاولت تمريره وتجسيده على أرض الواقع، بل أنها لم تجد صعوبات تذكر في أوقاف العيون، وأوقاف الطرق، والضغط على وكيل أوقاف مكة والمدينة، وإجباره على منح مداخيلها إلى الخزينة المالية، وعدم إرسالها إلى شريف مكة.³

وكان من أبرز نتائج هذا القرار الجائر اضطراب تسيير موارد الأوقاف الإسلامية في جميع المؤسسات الخيرية والثقافية والفوضى التي عاشتها خاصة و السنوات الأولى للاحتلال، وضم كل الأملاك الدينية والمتعلقة بالمساجد والمدارس القرآنية والزوايا وضمها إلى مصالح الإدارة الاستعمارية، والتي كان هذا القرار ضربة قاسية للمؤسسات الدينية والتعليمية في الجزائر.

¹¹ - خديجة بقطاش أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي 1830، مجلة الثقافة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر العدد 62. مارس 1981، ص 80

² - clauzel observation du generasl clavzel svr que lqves actes de son gouver ne ment
dalger.paris.1831.p108.

³ - نفس المرجع ، ص 79



وفي هذا الصدد يقول حمدان خوجة وهو شاهد عيان: «أعتقد أنين عثرت عن السبب الذي جعل الموظفين الفرنسيين يشيرون على الحكومة الفرنسية بالاستيلاء على تلك المؤسسات: إنهم فعلوا ذلك، أولاً للحصول على وسيلة يكسبون بها ثروة طائلة في أسرع وقت ممكن، ولو على حساب الإنسانية، وشرف الأمة، وثانياً الافتتان الأنفس، وترغيب فرنسا في الاحتفاظ بالإيالة لنفسها عندما يظهرون لها أن المدخول معتبر، غير مبالغين بشرعية أو عدم شرعية تلك الحقوق»¹، ويقول في موضع آخر: وبقطع النظر عن الملاحظات فإن السيد جانتي دويسي، قد صرح أمام الملأ بأن كل المساجد والمؤسسات الخيرية تابعة لأملاك الدولة، والإدارة العامة هي تتصرف فيها وتستغلها كيفما شاءت تكتريها كمحلات أو تستعملها الأشياء أخرى»².

وبسيطرة الإدارة الفرنسية على جل الأوقاف الإسلامية ومنها أوقاف المؤسسات التعليمية، تراجع دورها الريادي في دعم وتمويل المساجد والزوايا والمدارس القرآنية والمكتبات، وبالتالي حوصرت هذه الأخيرة، وأصبح الوكلاء والمدرسون والطلبة دون رواتب أو معاشات وقطعت عنهم وسيلة من وسائل الدعم المادي. وعلى مر السنوات العشر الأولى للاحتلال تدهورت حالة الوقف الإسلامي في الجزائر وعشت به.

وعلى مر السنوات العشر الأولى للاحتلال تدهورت حالة الوقف الإسلامي في الجزائر وعينت به أيادي الإدارة الفرنسية وتصرفت بمداخله وغالبا ما يعود إلى مصالحها الإدارية والمالية، وعلى هذا النحو صادروا مثلاً أوقاف الزاوية القادرية اثر رحيل الأمير عبد القادر وأوقاف الزوايا الرحمانية عقب ثورة 1871.³

1 - حمدان خوجة، المصدر السابق، ص ص 275-276

2 - نفسه، ص 281.

3 محمد البشير الهاشمي مغلي، التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي، مجلة المصادر، العدد 06 مارس 2002، ص 167.



المبحث الثاني: الزوايا:

1- أنواع الزوايا وأدوارها:

تواجدت الزوايا في الجزائر حوالي القرن الـ 13 ميلادي، حلت محل الرباطات، وانتشرت خاصة في الأرياف، وتوسعت مهاما على يد شيوخها والقائمين عليها لا سيما أصحاب الطرق الصوفية، وتعددت أدوارها ما بين العبادة والإرشاد والتعليم والإصلاح والجهاد في آن واحد. ومنها الزوايا الحرة التي لا تنسب إلى ولي أو طريقة صوفية، ومنها التي تنسب إلى طريقة من الطرق الصوفية كالطريقة الرحمانية والتجانية والقادرية.¹

ومن حيث الانتساب فإنها تنقسم إلى :

- زوايا الطرق الصوفية: وهي زاوية الطريقة الأم أو فرع تابع لها ويكون شيخ الزاوية هو المسؤول المباشر في تسيير الزاوية والطريقة لها أتباع ومريدون يقومون بتمويل وتموين الزاوية، كزاوية الهامل ببوسعادة والتي تتبع الطريقة الرحمانية، وزاوية القيطنة بمعسكر والتي تتبع الطريقة القادرية.

- الزوايا المنسوبة: وهي زوايا منسوبة إلى شخص ميت تقدسه فئات واسعة من العامة وتحيي ذكراه وهو مدفون بالزاوية وتنسب إليه، وتأتيه العامة لزيارة الضريح.²

- زوايا المرابطين: وتهتم هذه الزوايا ينشر العلوم الشرعية وبشؤون الطلبة واستقبال الغرباء وعابري السبيل والمحرومين، والملاحظ أن هذه الزوايا ليس لها طريقة صوفية تتبعها

1 - العيد مسعود حركة التعليم في الجزائر، محلة سيرنا، 3، 1980، ص 63

2 أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع)، ص 26.



ومريدين تابعين، فالمرابطون هم من يعمل دون مقابل على الرغم من حالتهم الاجتماعية البائسة واحتياجاتهم.¹

ومن ناحية تواجدها عبر التراب الجزائري منذ العهد العثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي نلاحظ أن هناك نوعين من الزوايا وهي زوايا الأرياف وزوايا المدن (الحواضر).

ان كثرة الزوايا بالجزائر خلال أواخر العهد العثماني وبدايات الاحتلال سمح بوجود ثلاثة أنواع من الزوايا وهي زوايا المشايخ، وزاوية الطلبة، وزوايا المرابطين.

أما عن نشاطاتها وأدوارها في حياة المجتمع الجزائري، فيقول يحي بوعزيز أنها عملت على تحفيظ القرآن الكريم، ونشر التعليم والإسلام في المناطق النائية وكانت ولا زالت مخازن للكتب والمخطوطات، كما ساهمت في إزالة الفوارق الاجتماعية، وتوطيد العلاقات بين فئات المجتمع، وحرابت السلطة المستبدة، فالزاوية الواحدة تنظم الفقير والغني، والعالم والأمي، ولكن اعتمادها على المنهج التقليدي أدى إلى الركود الفكري و شيوع الدروشة والانحرافات.²

كما أنها تعتبر مؤسسة شاملة فهي مسجد للعبادة، ومدرسة للتعليم، وملجأ للهاربين، ومأوى للغرباء، ومركزا للفقراء.

لقد كانت الزوايا بمثابة مراكز اسناد للثورات الشعبية حيث تمدها بالرجال والسلاح والمال وأنقذت الزوايا الفقراء والمحتاجين ومنعتهم من الارتقاء في أحضان المبشرين الذين أرادوا استغلال وضعهم الاجتماعي المزري، قامت باطعامهم وجعلت التعليم مجانا لكل الناس والصغار والكبار وحافظت على القرآن الكريم واللغة العربية والتربية الاسلامية وحصنت النفس على التمسك بالدين الحنيف.³

¹ محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، مطبعة النحلة، الجزائر، 1989.

² - يحي بوعزيز المرجع السابق، ص 16

³ محمد نسيب، المرجع السابق، ص 24.



لقد قام شيوخ الزوايا بلم صفوفهم لمواجهة الاستثمار الفرنسي وذلك بإنشاء جمعيات لتوحيد وسيلة الاتصال بينهم، فقد أنشأ جمعية جامعة مشايخ الطرق الصوفية.

2- الزوايا في ظل الاحتلال:

كانت الجزائر في أواخر العهد العثماني وغداة الاحتلال الفرنسي تزخر بعدد هائل من الزوايا والمعمرات، وقد قدرت بعض الإحصائيات والتي تعود إلى سنة 1851 عددها 593 زاوية¹، ومعنى ذلك أن عددها كان أكثر من ذلك في السنوات الأولى للاحتلال، وأنه تناقص بفعل السياسة الاستعمارية الفرنسية التي انتهجتها منذ البداية كالهدم والتخريب والاستيلاء على مصادر الزوايا الوقفية، وعلى أراضيها وأملاكها.

كما عمل الفرنسيون منذ دخولهم التراب الجزائري على طمس المعالم الدينية للمجتمع الجزائري، وتفكيك مؤسساته التعليمية ومنها الزوايا، والاستيلاء عليها، وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن المعمرين قد استولوا في العامين الأوليين للاحتلال (1830-1832) في مدينة الجزائر على عدة زاويا منها:

- زاوية سيدي الصيد.
- زاوية سيدي بتكتة.
- زاوية كتشاوة
- زاوية الكشاش بالمرسى.
- زاوية الإنكشارية بالقصة.
- زاوية تشكتون.
- زاوية الانكشارية القديمة.
- زاوية محمد ميزو مورقو

¹ - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص 173.



- زاوية الولي سيدي الغبريني بالمرسى¹

ولم يتوان الفرنسيون في شد الخناق على حل الزوايا التي كانت تشكل خطرا عليهم، لا سيما التي كانت منارة للعلوم والإشعاع الفكري، ومعاقل للجهاد والمقاومة كالزوايا التابعة للطريقة القادرية في الغرب الجزائري، والتي كانت في بداية الاحتلال تهتم بالعلم والتعليم والتصوف، ومنها زاوية القيطنة بضواحي معسكر، ورغم الظروف السائدة حينها كحرب المقاومة التي أعلنها الأمير عبد القادر ضد المحتلين إلا أن الزاوية واصلت مهامها التعليمية والتربوية بشكل عادي.

ومنذ قرار الـ 7 ديسمبر 1830، والذي صادر المحتلون بموجبه أملاك الزوايا وأوقافها، توقفت مهام الكثير منها، مما جعلها عرضة للهدم والبيع أو تحويلها إلى ثكنات عسكرية، ومخازن للأسلحة كروايا القشاش وزاوية الجامع الكبير، وزاوية الأندلس، وزاوية الشرفة، أو الأشرف²، وهذا في مدينة الجزائر لوحدها، ونفس المصير لاقته الزوايا التي تواجدت في المناطق المحتلة في وسط البلاد وشرقها وغربها كزاوية عنابة، وقسنطينة ومعسكر وغيرها، بعد قرار مصادرة أراضي الزوايا في جوان 1844.

وتجدر الإشارة إلى أن الأماكن التي لم يصلها الاحتلال قد زاولت فيها الزوايا نشاطاتها ومهامها التعليمية والتربوية والتعبدية، بل وعرفت توافدا لطلبة وطالبي العلم من المناطق التي غزتها الجيوش الفرنسية خصوصا إلى الأرياف كزوايا بلاد القبائل، وزوايا الجنوب والمناطق البعيدة، حيث لم يسيطر الفرنسيون على بلاد زواوة (القبائل)، والجنوب إلا بعد الخمسينيات من القرن التاسع عشر.³

¹ - ناصر الدين سعيدوني: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر (العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، الجزائر، من 169

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص 171

³ - نفسه، من 169



أما عن بلاد القبائل فإنها عرفت بكثرة زواياها ومعمر الها والتي يعود تاريخ بعضها إلى العهد العثمان الكراوية أقر أو اخلاطة و وهي من أقدم الرواية التعليمية وكانت في أواخر العهد العثماني كتابة أم الزوايا العلمية لأنها كانت تدرس العديد من العلوم لعلوم الشريعة والملاك، والحساب واللغة وغيرها، ولكن الذي ميزها في ظل الاحتلال هو تراجع دورها التعليمي والتربوي ومحاباة شيخها محمد السعيد بن علي الشريف السلطات الاحتلال الفرنسي¹.

ولم تحل الساحة من الروايا القرآنية والفقهية، وهذا رغم مسابقات العدو الرحالها وطلابها، وواصلت رسالتها التعديدية والتعليمية، وكانت راوية تيزي راشد، وابن إدريس والبلولي وابن أبي داود من أشهرها وأكثرها طلاب وأوسعها صدق²، كما أن لبعض الروايا الدور الرئيسي، فيما بعد أي بعد 1850 في إذكاء روح المقاومة، وإعلان الجهاد وكانت مثابة رباطات خلقية تدعم المجاهدين ضد الغربة الفرنسيين، كراوية الطريقة الرحمانية في صندوق والتي كانت الدعم القوى وحاملة لواء المقاومة في ثورتي الشريف بوبغلة، والسورة لالة فاطمة سومر 1854. ووصولاً الى ثورة المقراني 1871.

المبحث الثالث: الطرق الصوفية وأدوارها:

1- أدوارها

ظهرت بوادر التصوف منذ القرون الأولى للإسلام، حيث رسم معالمه كتوجه ديني له خصوصياته ومناهجه وطقوسه.

وبرزت الطرق الصوفية تباعاً وهذا بتأسيس من بعض المتصوفة والمرابطين الذين ذاع صيتهم قبل القرن السادس عشر ميلادي، وكان من جملتهم أبي حامد الغزالي وعبد القادر الجيلالي، وجلال الدين الرومي وغيرهم.

¹ - أبو القاسم سعد الله المرجع نفسه، ج 3، ص 182

² - نفسه، ص ص 202-203.



كما ظهر متصوفة على أرض المغرب العربي كأبا الحسن الشاذلي وأبي مدين وابن مشيش.¹

وتأسست عبر هذا التاريخ الطويل عدة طرق صوفية على أرض الجزائر قبل وأثناء العهد العثماني وحتى بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر.

- عملت الطرق الصوفية على تعميق روح الانتماء والأخوة بين القبائل الجزائرية والمواظبة على العبادات وحضور حلقات الذكر والإرشاد والأنشيد الجماعية وتلاوة الأوراد ورقصات معينة، وكذلك مليء الفراغ السياسي والثقافي وحتى الروحي كما كانت زوايا هذه الطرق مراكز للعلم ومخازن للكتب.

وفي أواخر أيام العهد العثماني بالجزائر ومع ضعف الإدارة المركزية وتعفن الأحوال الإدارية والسياسية وكثرة الفساد انتشرت حركة التصوف داخل البلاد انتشارا واسعا، وأسس أتباع أولئك المرابطين زوايا في الأرياف أصبحت هي نفسها ملتقيات لنشر العلم وبث الأخلاق الكريمة والحث على المقاومة والجهاد ضد العدو، وتمثل ذلك في مقاومات القادرية والرحمانية والدرقاوية ضد الاحتلال الفرنسي.

فالزوايا من هذه الجهة قد تولت مهام كبرى كانت من قبل اختصاص الدولة² في حين ابتعد بعض المرابطين عن العلم والعمل به، ومالوا إلى الدجل والخرافة وغالبا ما كانت أنشطتهم بناء الزوايا وإدعاء الكرامات وإعطاء الأوراد، وتلقين الأذكار، واستغلال الجهلة والفقراء من الناس، وكانت جل الطرق الصوفية نسخة مكررة لبعضها البعض.³

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص464.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع نفسه، ص468.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص532.



واشتركت جميع الطرق الصوفية في بعض الطقوس والأدعية والأوراد وتصنيف مراتب المنتمين إليها.

ومن مظاهر ممارساتهم داخل الطريقة فإنها اتسمت بالعزلة عن الناس، والاختلاء والسهر للعبادة، والصوم، وحضور الحضرة، والزرده وأداء الزيارة، وتقديم الهدايا للشيخ أو الخليفة أو المقدم.

ولقد احتلت الطرق الصوفية في المجتمع الجزائري مكانة ذات أهمية، كما كانت لها أدوار ثقافية ودينية¹ لا يستعان بها في هذه الفترة.

كما اشتركت حل الطرق الصوفية وأيضا بعض المرابطين فيما يسمى بالزيارة والتي أصبحت واجبا على الإخوان، فالزيارة عند هذه الطرق واجبة ومحددة والإخوان يدفعون ما توجب عليهم من عطايا في هذا المقام، وهي دليل على الطاقة والإخلاص.

وشاعت بعض المصطلحات بين الصوفية ومنها "الحضرة وهي اجتماع كبير يتدارس فيه القائمون على الطريقة الأوضاع المالية، وتسمية المقدمين الجدد، وكتابة الرسائل إلى الأعيان والإخوان، وفي حالات أخرى الاتصالات مع السلطات القائمة.

وكذلك إعداد الولائم الكبيرة والتي يحضرها العامة من أتباع الطريقة ويمارس فيها الصوفية طقوسهم المعهودة كالرقص والضرب على الدفوف والأناشيد وإثارة الضجيج لجلب الانتباه.

وبعد الانتهاء من هذه الطقوس والرقصات يحث المقدم أتباعه بالثبات والتمسك بالدين الإسلامي، والطاعة والولاء للشيخ والطريقة، والصوم والعبادة.

الجانب التربوي:

لم تهمل جل الطرق الصوفية الجانب التربوي والتعليمي وهو الأساس الذي قامت من أجله ونذكر في هذا المقام جهود زوايا الطريقة الرحمانية والقادرية بالتعليم والسهر عليه بإعطائه الأولوية الخاصة.

¹ أميدة عميروي، علاقات بابيك الشرق الجزائري بتونس آخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر (د.ت)، ص29.



وفي هذا الإطار نجد أن هذه الطرق قد اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم للناشئة والكبار ومحاولة ترسيخه بصورة مكثفة ومتواصلة، وهذا الذي ساعد على محو أمية الحرف من جهة وحماية القرآن الكريم من الاندثار والضياع من جهة أخرى.

وبالتالي كان أغلبية الناس صغارا وكبارا يحفظون القرآن الكريم كله أو جله أو بعض أجزائه عن ظهر قلب، كما عملت هذه الطرق على تطبيق مبادئه وتعاليمه فيما تعلق بشؤون الدين والدنيا لا سيما فيما يخص السلوك والأخلاق العامة والشخصية والجماعية.¹

واستعملت جل زوايا الطرق الصوفية كمخازن للمخطوطات والكتب التي احتوت على شتى العلوم والمعارف لا سيما منها ما تعلق بالعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها، وما تخصص في علوم الكلام والتصوف، وذلك لعناية شيوخها ومقدميها وطلابها بالعلم والمعرفة، وكذلك نسخ الكتب وتأليفها وجمعها وما إلى ذلك من جلب وتجميع الكتب والمخطوطات.²

وعملت مختلف هذه الطرق على ترسيخ الثقافة الإسلامية والروح الدينية وتبني التصوف، والتوجه القرآني وذلك بغرس الأخلاق الإسلامية الفاضلة، ونبذ العنف وهذا بإرشاد الطلبة وتقويم سلوكياتهم بحثهم على الطاعة وعدم التمرد وتعليمهم الصبر والثبات والشجاعة وكل هذه القيم إنما هي مستمدة من صميم القرآن الكريم.³

سلبياتها: ظهرت هناك عدة مظاهر أساءت إلى التصوف الحقيقي وأضرت بالمجتمع كانتشار ظاهرة الدروشة والشعوذة والتوسل بالشيوخ والمرابطين وهذا ما يتنافى مع تعاليم

¹ يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2004، ص222.

² المرجع السابق، ص223.

³ أحمد مريوش: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص173.



الدين الإسلامي الحنيف وظهرت بعض الطرق الصوفية المبتدعة وبذلك اختلط التصوف بالبدعة وهذا ما شجع سلطات الاحتلال الفرنسي في استغلال هذه الظواهر ومحاولة جلب الطرق الصوفية للعمل تحت سلطتها.

واختلاف شيوخها في بعض الأمور والمسائل الفقهية والدينية البسيطة والهامشية كالجهر بالبسملة وقراءتها والقبض باليدين أو إسدالهما في الصلاة، مما انجر عنه مشاحنات¹ ومشادات كلامية لا طائل ولا فائدة منها.

والذي أضر بمسيرة الطرق الصوفية هو جنوح شيوخها ومريديها إلى الخلوة والعزلة والابتعاد عن الناس وعدم مواكبة الظروف الراهنة والذي انجر عنه نوعا من الكسل وعبادة الشيوخ وعدم الاهتمام بالعلوم والمعرفة.

وتجدر الإشارة إلى أن تعدد أفكارها كان منبعها من التركيبة الاجتماعية والثقافية للشعب الجزائري، ومن ذلك قدمت هذه الطرق وبما استطاعت من خدمات وأعمال لا يستهان بها في أغلب مناطق الوطن وخاصة في المجالين التربوي والروحي وتبلور ذلك في أن بعض الطرق قد اهتمت اهتماما لا بأس به، في تحفيظ القرآن الكريم، والعلوم الشرعية واللغة العربية وآدائها، في حين اهتمت البقية منها بالتربية وإبراز المناهج الروحية للتصوف داخل الطريقة وبين أتباعها.

ومن نافلة القول إن الإرث الثقافي للطرق الصوفية قد تدهور وتناقص نشاطه في بدايات الاحتلال لا سيما بعد شيوع فكر الدجل والشعوذة، وطغيانه على المجالين التربوي والتعليمي في بعض الطرق الصوفية²، وكذلك الظروف المحيطة بها كمارسات الاستعمار

¹ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص226.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص82.



ومحاولات الضغط عليها من خلال التدخل في شؤونها وزرع الفرق بين أتباع الطريقة الواحدة وتسيير مقدميها وشيوخها والقصد من ذلك التحكم في الوضع السياسي للبلاد.

2- أبرز الطرق الصوفية:

حافظت الطرق الصوفية في بدايات الاحتلال الفرنسي على أماكن تواجدتها وانتشارها خاصة في الأرياف والمناطق التي لم يصلها الفرنسيون بعد، كما تواصلت أدوارها التعليمية والتعبدية التي كانت في غالبيتها امتدادا لأواخر العهد العثماني ومن أبرزها:

الطريقة القادرية:

تنسب الطريقة القادرية إلى عبد القادر الجيلاني دفين بغداد والذي اعتبر من أكابر المتصوفة والعارفين وقطب الأقطاب وعضد الإسلام وله كرامات وخوارق تنسب إليه ويلقب بـ "مولى بغداد" وله تأليف عدة ومنها (لطائف الأنوار) ويرجع نسبه إلى فاطمة الزهراء والإمام علي كرم الله وجهه.

والزاوية الأم توجد ببغداد ولها فروع في كامل الوطن العربي والإسلامي ومنها الجزائر.

والطريقة القادرية في بدايات الاحتلال عدت من أهم الطرق الصوفية التي حافظت على انتشارها وتواجدها، وتمثلت أدوارها في جوانب عديدة منها¹:

الاستمرار إلى جانب المقاومة لا سيما في مسانقتها وتأييدها للأمير عبد القادر وتعتبر المنطلق الروحي لهذه المقاومة حيث ساهمت حل فروع القادرية في المقاومة والتي امتدت من 1830 إلى 1847 وفي الجانب التعليمي يمكن القول أنها حافظت وزاولت التعليم داخل زواياها واهتمت بتعليم الصغار والكبار، وهو ما كانت تقوم به زاوية القيظنة²

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، نفسه، ص42.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1، نفسه، ص268.



والتي زاول فيها الأمير عبد القادر التعليم في صباه، وأخذن مشايخها ومنهم والده محي الدين، وزاوية شلاطة¹، والتي تعتبر من أهم الزوايا التعليمية في بلاد القبائل والتي تعد في الأصل قادرية الطريقة كما ارتكزت على الجانب التعبدي والذي تمثل في الأذكار والطقوس والأوراد والحركات التي يستخدمها المریدون والإخوان القادرية.

فالذكر عند القادرية: هو ذكر الله وحده والإكثار من الصلوات، وقراءة الفاتحة بعد الصلوات الخمس، والصلاة على النبي 21 مرة، بشكل جماعي، وقراءة صورة ياسين، ودعاء القنوت والذي يرددون أتباعها وهو " اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونؤمن بك ونتوكل عليك، ونخشع لك، ونترك من يكفر، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخاف عذابك إن عذابك بالكافرين ملحق².

وتواجدت القادرية في أماكن عديدة من الوطن، وتميزت بكثرة فروعها وانتشرت بتيارت والجنوب الغربي ومن شيوخها بالعربي عبد القادر بن قدور، والتي كانت زاويتها في 1844، مدرسة لتعليم الصغار مبادئ القرآن الكريم والدين الإسلامي، ويقام في المنطقة موسم سنوي لإطعام ونحر الذبائح، وتقام الفروسية والزيارات، ويجتمع المدعوين لوضع تبرعاتهم إلى المقدم أو الشيخ ومنها ما تواجد في بلاد القبائل والشرق الجزائري والصحراء الجزائرية وقد قدرت الإحصائيات الفرنسية عدد أتباعها وهذا حسب إحصاء يعود إلى 1882 كما يلي:

14.547 إخواني

286 مقدا

29 زاوية

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، نفسه، ص60.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، نفسه، ص ص 43-44.



وفي 1897 كان لها وكيل واحد و521 من الطلبة و4 شيوخ و2695 امرأة أو إخوانية¹

وتميزت هذه الطريقة بأنها أم عموم الطرق الصوفية، وبدعاء القنوت المذكور سلفاً، ويقال عن القادرية أنها العلم والأخلاق والصبر والإلتقان.²

الطريقة الطيبية:

تعتبر الطريقة الطيبية امتداداً للطريقة الشاذلية والتي كانت نشأتها في المغرب الأقصى ثم تواجدت بالجزائر.

ومن الملاحظ أن تعاليم الطريقة الطيبية لا تختلف عن بقية الطرق الصوفية حيث تعدوا إلى التقوى وفعل الخيرات، والقيام بالواجبات الدينية، وإطعام الفقراء، والتدخل لحل الخلافات والنزاعات بين أفراد وقبائل المجتمع الجزائري وإصلاح ذات البين، مع التقرب إلى الله والابتعاد عن زخرفة الدنيا، والتأمل في خلق الله وتجنب السياسة وعدم الخوض فيها.

وقد قيل عنها أنها كانت عبارة عن هيئة سياسية لها أهداف سرية غير معلنة وهذا رأي الكاتب الفرنسي "رين".³

أما في الجانب التعبدي فإن ما ميز الطريقة الطيبية هو ترديد مرديها لبعض الأدوار الخاصة بالطريقة أثناء الصلوات المفروضة وهي تسبيح الله وحمده، والصلاة عن النبي وأزواجه وذريته، وكذلك عبارات التوحيد ومنها لا إله إلا الله وتكرار هذه الأقوال عدة مرات

¹ Octave de pont, xavier, co ppolani, les confréries religieuse muslimans, Alger, 1897, pp 313-315.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، نفسه، ص ص 43-44.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، نفسه، ص95.



حسب مقام كل دعاء أو رد خاص بالطريقة، ومن شروط الذكر عندهم إتباع السنة واجتناب البدعة.

وتجدر الإشارة إلى أن الأتباع والإخوان لا يدركون ما يتعلق بحياة شيوخها، وهذا لطاعتهم إياهم، وإنقيادهم لهم، وعدم التدخل في شؤونهم وهذا ما سهل لشيوخ الطريقة الطيبية في التصرف وتسيير أمور الطريقة بكل حرية وأتاح له الاتصال بالآخرين وخاصة السلطات الفرنسية ويتجلى ذلك في إدارة الفرنسيين في اختيار المقدمين للطريقة في الجزائر وهذا لإجبار شيوخ الطريقة (الأم) بوزان في المغرب الأقصى على الخضوع والسير في فلك الإدارة الاستعمارية.

وفي هذا الإطار تولت السلطات الفرنسية تنصيب "ابن شريط" كمقدم في زاوية قسنطينة¹.

أما في الجانب السياسي فإن من الثورات الشعبية التي كانت تتخذ من الطيبة منطلقا روحيا لها ثورة محمد بن عبد الله والمعروف باسم "بومعزة" والذي كان من مريدي الطريقة الطيبية، وخاض ضد الفرنسيين عدة معارك في زمن الأمير عبد القادر وكان له الباع الطويل في أحداث الظهرة 1845، واستسلم للفرنسيين في 1847 ونقل إلى فرنسا، إلا أن جوانبا تاريخية لا تزال خفية وتحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة، لا سيما فيما يتعلق بشخصية هذا الرجل، والثورة التي قام بها²

وحسب إحصاء لأتباع الطريقة الطيبية والذي يعود إلى 1897.³

عدد الزوايا: 8

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع نفسه، ص98.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع نفسه، ص97.

³ صلاح مؤيد العقبلي، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، تاريخها، ونشاطها، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002، ص 136-137.



عدد الوكلاء 21

عدد الطلبة 128

عدد المقدمين 234

عدد الشواش 108

عدد الإخوان 19110

عدد الأخوات 2547

وما يميز هذا الإحصاء هو كثرة تواجد المرأة كإخوانية داخل تنظيم الطريقة الطيبية، وتأتي عدديا بعد الطريقة الرحمانية، والقادرية.

الطريقة الرحمانية:

تنتسب الطريقة الرحمانية إلى مؤسسها الأول محمد بن عبد الرحمان الأزهري الجرجري، والذي أوصى الشيخ علي بن عيسى المغربي بخلافته وتولي أمور الطريقة، وقد طال عهد بن عيسى وانتشرت تعاليم الزاوية إبان عهده وكانت موحدة، وتوفي هذا الشيخ بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر ستة سنوات¹، وبخلاف جل الطرق الصوفية التي اهتمت بالتعليم إلى جانب الشعائر الدينية فإن الطريقة الرحمانية أعطت أولية خاصة لنشر التعليم بل أنها ربطت بين التوجيه الروحي ونشر التعليم، وذلك راجع إلى تعاليم مؤسسها الأول الذي يعتبر من العلماء الذين نالوا شهرة واسعة في ميدان العلم والفكر وحتى جل شيوخ الزوايا الرحمانية كانوا من العلماء.

ودرست زاوية الطريقة الرحمانية في بلاد القبائل وغيرها من مناطق الجزائر علوم الشريعة إلى جانب علوم الطريقة.²

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص140.

² العيد مسعود، المرجع السابق، ص63.



ولم تختلف الطريقة الرحمانية عن الطرق الصوفية الأخرى من الناحية التعبديّة والروحية حيث كان لها العديد من الأوراد والأذكار التي توجد في غيرها من الطرق، ويتوصى أتباع الرحمانية بالعزلة عن الناس وبالسهر والخلوة والصيام والذكر، والاجتماع للصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) وإقامة الحضرة.¹

واستطاعت هذه الطريقة كغيرها من الطرق الصوفية ان تضع أجيالا من العلماء والفقهاء، والقضاة الذين كان لهم الدور الكبير في التطور الثقافي والفكري وحتى الدعوة للجهاد.

وتميزت جل الفروع الرحمانية بالانتشار والتواجد في عدة مناطق من الوطن ولم يقتصر تواجدها في بلاد القبائل بل كان لها امتدادا في قسنطينة، والزيبان، كخنقة سيدي ناجي وطولقة، وكذلك في الأوراس، والصحراء.

كما تميزت هذه الفروع في ربط العلاقة بين الدين والتعليم والتصوف والثورة والجهاد ويتضح ذلك في تحالف الرحمانية مع القادرية على الجهاد ضد الاحتلال، ومن أبرز رجال الرحمانية الذين خدموا الأمير عبد القادر أحمد الطيب بن سالم.²

وتأثرت الطريقة الرحمانية بالأحداث السياسية التي عاشتها الجزائر خاصة بعد احتلال مدينة بسكرة (1843-1844) وهي الفترة التي شهدت تفرعات جديدة للطريقة خاصة في منطقة الزيبان، وكذلك الفرقة وعدم الوفاق بين شيوخ زوايا هذه الناحية، حتى بداية ثورة الزعاطشة (1848-1849).

وتجدر الإشارة إلى أن الطريقة الرحمانية في "صدوق" بالقبائل كانت تمثل الدعامة الروحية والمعنوية، وكانت زاويتها قلعة خلفية لمقاومتي الشيخ الحداد ولالة فاطمة نسومر فيما بعد.

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص144.

² سعد الله، نفسه، ص141.



الطريقة التيجانية:

تنتسب الطريقة التيجانية إلى أحمد التجاني، والذي ولد في عين ماضي قرب الأغواط في 1150 هـ¹، وتوفي في فاس بالمغرب الأقصى في 1814م/1230 هـ². وعند وفاته ترك ولدين هما محمد الصغير ومحمد الكبير وانتهى الأمر بخلافة محمد الصغير ومحمد الكبير وانتهى الأمر بخلافة محمد الصغير للطريقة في نهايات العهد العثماني.

اشتركت الطريقة التيجانية مع العديد من الطرق الأخرى في الأوراد والأذكار وإقامة الزيارات، والحضرة، والوعدة... و بخلاف الطرق الصوفية الأخرى اهتمت الطريقة التيجانية بتعليم المرأة، وهذا بغرض تقويض وإضعاف شوكة بعض المرابطين وعلاقتهم بقضايا المرأة، وبذلك راهنت هذه الطريقة على توظيف المرأة خدمة للطريقة لا سيما وأن هذه الأخيرة كانت أكثر زيارة للأضرحة وتبركا بالوالي والمرابط ومقدم الطريقة وحتى تقديم طلباتها له بغية تحقيقها.³

إن العلاقات السيئة التي كانت بين شيخ التيجانية والسلطات العثمانية مع أواخر العهد العثماني جعلت الشيخ يرى في الاحتلال الفرنسي شيئا عاديا ونستكشف ذلك من خلال موقفين له:

لما طلب منه مقدم الطريقة الدرقاوية الانضمام إلى صفوف الدرقونة للجهاد لم يجد شيخ التيجانية في هذا الطلب شيئا مغريا، وبالتالي رفضه.

إنه لما قام الأمير عبد القادر بمواجهة القوات الفرنسية في الغرب الجزائري تحالفت معه العديد من الطرق الصوفية كالدرقاوية، والرحمانية وقاد الشعب الجزائري في عدة معارك مظفرة، اتجه هو نفسه إلى شيخ التيجانية ليناشده أن يضع قوته ونفوذه في صف الثوار والوطنيين في سنة 1836، إلا أن الشيخ التزم سياسة المراوغة في ردوده ودامت المراسلات

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، نفسه، ص517.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، نفسه، ص191.

³ أحمد مريوش، نفسه، ص137.



بينهما وقتا طويلا، وكان عذر الشيخ أنه يريد ان يعيش حياة التصوف والعبادة والوادة والبعيدة عن السياسة.

ومن جراء موقف الشيخ وعدم تعاونه مع الأمير عبد القادر هجم هذا الأخير على قصر عين ماضي، وهدمه بالديناميت، وترك للشيخ حياته وسمح له بالعيش في الأغواط¹.

ورغم ذلك اتصل شيخها محمد الصغير بالسلطات الفرنسية وهذا عن طريق المراسلة التي كانت بينه وبين المارشال "فاليه" ونشير إلى أن الفرنسيين نوهوا بالقيادات التيجانية لأنها كانت تحمل شعارات "القدرية" وتكمن في تثبيطها لحركة المقاومة والجهاد التي أعلنها الجزائريون ضد الاحتلال الفرنسي ومفادها أن الله قد حكم وقدر للجزائر أن تكون تحت حكم فرنسا وبالتالي أن الاحتلال مكتوب وقدر ولا فائدة من محاولات التخلص من المكتوب والقدر لأن ذلك ضد إرادة الله².

أما من الجانب التعبدي (الصوفي) فإن التيجانية مبادئها التي تختص بها دون الطرق الصوفية الأخرى وتختلف عنها بالتصنيف على التابع (الإخواني) وإلزامه بالتمسك بمبادئ وتعاليم هذه الطريقة وعدم انخراطه في أية طريقة أخرى.

ومن تعاليمها أنه لا يمكن لأحد إعطاء الورد إلا بإذن من شيخ الزاوية الأم وهو حامل البركة، ويفهم من هذا أن الشيخ الأكبر وحده من ينتقي ويصطفي الشيوخ والمقدمين، وهذا الذي جعلها متماسكة و مترابطة وعدم وجود التنافس بين أتباعها.

والجدير بالذكر أن كتاب "الكناش" يعتبر من أهم مصادرهم التي يعرفها "خاصة" التيجانية وعنوان الكتاب الكامل "جواهر المعاني" ويظم حوالي 600 صفحة ومقسم إلى ستة فصول.

¹ إسماعيل العربي: مسالك الإسلام والعربية إلى الصحراء الكبرى، مجلة الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الثقافة والاتصال، العدد 6، مارس، أبريل 1981، الجزائر، ص ص 51-52.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص201.



وحسب إحصاء رسمي لسنة 1882:

الأتباع 11.982 (حبيبا) مقسمة على:

إقليم الجزائر 03 زوايا، 26 مقدا، 3.348 حبيبا (إخواني)

إقليم وهران 02 زاويتان، 20 مقدا، 588 حبيبا (إخواني)

قسنطينة 02 زاويتان، مقدا 6.146¹ (إخوانيا)

¹ أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص242.



الفصل الثالث: الإنتاج الفكري في الجزائر 1830-1871

- العلوم الشرعية
- الآداب والتاريخ
- العلوم والفنون



الفصل الثالث: الإنتاج الفكري في الجزائر 1830-1871

عاشت الجزائر في بداية الاحتلال الفرنسي ظروفًا موضوعية خاصة في ظل الهيمنة وسياسة الإلحاق وتختلف عن تلك التي عاشتها مختلف البلاد العربية الأخرى، فإلى جانب الاستغلال الاقتصادي لموارد البلاد الطبيعية وإلى جانب حرب الإبادة التي شنتها ضد المجتمع الجزائري فإن فرنسا عملت على حرمان هذا الشعب من ثقافته ولغته وتاريخه ودينه الإسلامي.

وبالتالي سعت إلى محاربة الثقافة العربية الإسلامية منذ البداية، إلا أن الشعب الجزائري حافظ على أنماطه الثقافية والفكرية وبكل ما أوتي من قوة، وهذا رغم مضايقات الاحتلال، ورغم الحروب والمقاومات المستمرة، وبرزت مظاهر النشاط الثقافي في ميادين الآداب والعلوم والفنون.

المبحث الأول: العلوم الشرعية

اهتم العلماء والمدرسون بالعلوم الشرعية وهذا لما لها من أهمية في توضيح وشرح أساسيات العقيدة الإسلامية لأفراد المجتمع ومن هذه العلوم:

1- القراءات:

اشتهر علماء الجزائر ومدرسيها بتدريس القراءات وألفوا فيها أيضًا¹، وكانت منطقة زواوة أكثر شهرة من غيرها من المناطق الأخرى حيث اهتمت زواياها هذا التقليد المتوارث والذي يعود في بداياته إلى عهد الموحدين وكان نظامًا متبعًا مفاده وجوب قراءة حزب من المصحف الشريف كل يوم عقب صلاة الصبح والمغرب قراءة مرتلة، ونتيجة لاهتمام منطقة زواوة بالقراءات فإنها كانت مقصد الكثير من العلماء والطلاب، وهذا قصد الإتيان والبراعة،

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع نفسه، ص201.



واعتمد الجزائريون في نهاية العهد العثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي على كتب (مورد الضمان للشريشي) وعلى شرح محمد التنسي وكتاب الطراز في شرح ضبط الخراز¹.
وعلم القراءات ذو علاقة وطيدة بالقرآن الكريم وتفسيره وفهمه ودراسته وللجزائريين في هذا العلم أسانيد موثقة توارثوها عن سبقهم ومن أشهرها أسانيد أبي القاسم البوجليلي والتي دونها في كتاب "التبصرة"

وتواجد كذلك لعلم القراءات مراجع أساسية يتداولها العلماء والمدرسون ومنها حرز الأمانى للشاطبي وسراج القارئ للناصح، وغيث النفع للنوري².
وقد كانت الجوامع الكبرى تهتم بعلم القراءات ومنها الجامع العتيق بالعاصمة.

2- الحديث الشريف:

لم يكن الغرض من دراسة الحديث الشريف دراسته وحفظه فقط، وإنما العمل به في الأمور الدينية وهذا راجع لكونه أيضا من مصادر التشريع الإسلامي، وبالتالي أدخلوه في جل قضاياهم التعبدية والدنيوية.

ونتيجة لاهتمام منطقة زاوية للقراءات فإنها كانت مقصد الكثير من العلماء والطلاب³ وهذا قصد الإتيان والبراعة، كما اعتمد علماء الجزائر في نهاية العهد العثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي على كتب (مورد الضمان) للشريشي، وعلى شرح محمد التنسي.

أما في مجال الحديث النبوي الشريف فإن الغرض لم يكن فقط لدراسته وحفظه، وإنما العمل به في الأمور الدينية وهذا راجع لكون الحديث النبوي الشريف يعتبر عند علماء الجزائر وعند عموم الجزائريين من مصادر التشريع الإسلامي، وبالتالي أدخلوه في جل قضاياهم التعبدية والدنيوية.

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، نفسه، ص22.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، نفسه، ص35.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، نفسه، ص22.



ورغم اهتمام الجزائريين بالحديث النبوي الشريف لا سيما في تدريس صحيح البخاري، إلا أن التأليف في علم الحديث يكاد يكون منعدما إلا من بعض الأمور المألوفة مثل الشروح والحواشي والأراجيز والرسائل الصغيرة.¹ ومن الذين كان لهم إسهامات في علم الحديث الشيخ محمد المازري الديسي، كما كانت له إسهامات في التفسير والبيان، وهو صاحب كتاب (تقييدات على جمع الجوامع لابن السبكي).²

ومن أبرز المحدثين عبد الله سقاط وهو حفيد عبد القادر المشرفي والذي وصف بإمام الحديث وكان ضليعا في علوم اللغة العربية والتاريخ والأنساب والفقهاء على مذهب الإمام مالك بن أنس، وقد أجاز العديد من الشيوخ وتولى القضاء في أواخر العهد العثماني وفي عهد الأمير عبد القادر.³

ومن أشهر ما ألف في هذه الفترة تقييد على صحيح مسلم وواضعها هو أحمد بن سعيد العباسي قاضي أحمد باي قبل احتلال قسنطينة، وقد كان العباسي من علماء اللغة والأدب والبلاغة وله دراية بعلم المنطق والكلام والتاريخ.⁴

3- الفقه:

من الملاحظ أن أغلبية علماء الجزائر يستنبطون أحكامهم من كتاب "الموطأ" للإمام مالك بن أنس، والذي يعتبرونه سندا علميا وفقهيا ومرجعا من مراجعهم الدينية ومن أهم الكتب المعتمدة في الفقه والأحكام والنوازل والفتوى.

وكانت معظم الدروس وحلقات العلم في الفقه المالكي، من "مختصر الشيخ خليل"⁵.

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، نفسه، ص32.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، نفسه، ص82.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، نفسه، ص40.

⁴ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، نفسه، ص43.

⁵ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، نفسه، ص64.



اشتهر حميدة العمالي والذي كان في عهد "بوجو" و"راندون" بأنه من أعمق علماء الجزائر في الفقه¹، وقلت المؤلفات خلال هذه الفترة وراجع ذلك إلى التضييق على العلماء وعدم حريتهم في تناول الأمور الفقهية.

وقلت المؤلفات خلال هذه الفترة وهذا راجع إلى التضييق على العلماء وعدم حريتهم في تناول الأمور الفقهية.

وتواجدت بالجزائر المذاهب الثلاثة المعهودة وهي المذهب المالكي وهو مذهب غالبية المجتمع الجزائري والذي يستمد أحكامه من المصادر الأصلية كالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وموطأ الإمام مالك ومختصر الشيخ خليل.

والمذهب الحنفي والتي تضاعف أتباعه (الأحناف) في بدايات الاحتلال إلا أن الإدارة الفرنسية داومت على إبقاء وظيفة القاضي الحنفي في بعض المدن الجزائرية الكبرى كالعاصمة وقسنطينة والمدية.

وللأحناف مصادرهم أيضا ومنها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وفقه أبي حنيفة النعمان، وكتاب الدور المختارة².

واشتهر الفقيه الحنفي محمد بن محمود العنابي وهو صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود وله أيضا كذلك تأليف أخرى وإجازات علمية لغيره من العلماء ودلت آثاره العلمية بالإضافة إلى السعي المحمود من تمكنه من علوم الأوائل وهو يتمتع بمحافظه قوية لذلك تجد إنتاجه يغلب عليه النقل من كتب وآراء الأقدمين ويتمتع بقدرة فائقة على التأويل والتخريج والتعليل وهذا في أجوبته الفقهية وفتاويه³.

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، نفسه، ص76.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، نفسه، ص77.

³ سعد الله: رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفي سنة 1850 صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود، المرجع السابق، ص31.



4- الإثبات والإجازات:

اهتم الجزائريون بكتابة الإثبات وهي نوع من الفهارس التي كان المدرس أو الأستاذ يدون فيها مروياته في الأحاديث النبوية والأسانيد المأخوذة عنها، وأشهرها الكتب التي يعتمد عليها في هذه الفترة صحيح البخاري وغيره من الصحاح الستة المشهورة¹ كصحيح مسلم والترمذي، والبيهقي، وابن ماجه، والنسائي.

وهم بذلك يحافظون على علم الحديث وغيره من العلوم رواية وإسنادا، ويربطون الأسانيد بعضها لبعض مهما تباعدت تواريخها.

والثابت أو الفهرس هو تدوين للأساتذة الذين درس عليهم الطالب هذه الفترة.

إن ضعف مستوى العلم عامة في هذه المرحلة يعكسه أيضا ضعف علوم الشريعة ووسائلها ومنها الإثبات وهذا لاختفاء أهل الإجازات والعلماء الكبار والغيورين على العلم، وظهور سلوكات منها طلب الرياء والسمعة والمجاملات.

أما الإجازة فهي شهادة يمنحها أستاذ أو شيخ لتلميذه وبالتالي تعتبر شهادة كفاءة² أو تأهيل يستحق بها المجاز لقب أو الأستاذ في العلوم المجاز فيها.

وتكون عادة بطلب من التلميذ أو الطالب وتسمى في المصطلح بالاستدعاء ويكون هذا الاستدعاء شعرا أو نثرا ورغم ضعف مستوى العلم والتعليم وهجرة العلماء والتضييق عليهم وتعرض العديد من المؤسسات الثقافية للهدم وأصل بعض العلماء على هذا التقليد العلمي الأيل والمتوارث غير أن الإجازات المكتوبة في هذه الفترة كانت عبارة عن كلمات قصيرة وعباراتها متكررة وفقدت تلك الميزة التي كانت عند الأقدمين كونها إجازة علمية وهذا لافتقارها للفوائد العلمية والتاريخية.³

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص32.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، نفسه، ص41.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، نفسه، ص55.



المبحث الثاني: الآداب والتاريخ:

إن الحالة السياسية والاجتماعية التي وصلت إليها الجزائر تحت وطأة الاحتلال الفرنسي جعل مضامين وأغراض الشعر والرواية الشعبية تصف لنا هذه الأحوال والظروف ومنها:

1- الشعر: من الملاحظ في بداية الاحتلال هو ضعف اللغة العربية الفصحى وطغيان العامية والشعر الشعبي (الزجل)، والذي صار يعبر عن أحول ومعاناة الشعب الجزائري وهو تحت ربة الاحتلال، وسجل تدوين بعض الأحداث الهامة، ومنها قصيدة الشيخ عبد القادر الجزائري عن احتلال الجزائر، وتسجيل مواقف الشيخ قدور ولد محمد وهو يهاجم الأمير عبد القادر، بينما كان الشيخ الطاهر بن حواء يمدحه، وظهر كذلك في هذه الفترة عدة شعراء شعبيين كأحمد الأخضر¹ وعبد القاهر الوهراني والذي وصف احتلال العاصمة في 1830. وأبي عبد الله مسلم بن عبد القادر العامري الكاتب².

إلا أنه لم تخل الساحة من شعراء العربية الفصحى، حيث نظم الشعراء قصائدهم في الأحداث الجسام التي ألمت بالوطن خاصة أيام الاحتلال الأولى ومنهم، محمد بن الشاهد، والذين هاله الأمر لشدة فضاغته وبكى سقوط الجزائر المحروسة³ فنظم قصيدة وصف فيها حالة العلم ومدينة الجزائر وهي تحت الغزاة.

سرى فيك رغب أم ركنت إلى الأسر	أمن صولة الأعداء، سور الجزائر
وعمت بواديك الفتون بلا حصر	ليست سواد الحزن بعد مسرة
نواحيك تشكوا بالأمان إلى الجور	رفضت بياض الحق عنك فأصبحت
ونادى بتعطيل العلوم عن النشر	ولثم درس العلم والجهل عسعس

¹ سونك: الديوان المغربي في أقوال عرب إفريقية والمغرب، بحث وتقديم أحمد أمين، موفم للنشر، الجزائر، 1994، ص289.

² سونك، نفس المرجع، ص19.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع نفسه، ص48.



إلى أن يقول:

ناولوا من الأموال يسرا يسرا
 وفازوا بها والقلب يصلى على الجمر¹
 كما أن مصطفى بن الكبابي، ومحمد بن العنابي كانا شاعرين، والأمير عبد القادر
 نفسه كان مجاهداً، ومتصوفاً وشاعراً قديراً، والذي سجل معاركه وانتصاراته، وله ديوان
 مطبوع في هذا المجال* كما كان حمدان بن عثمان خوجة يقرض الشعر، وينظم القصائد
 الشعرية إلا أن شعره ضعيف ومتصنف² وقد رى بعض الشعراء الجزائريين الحالة التي
 وصل إليها الوطن بعد الاحتلال.

وأنجبت المقاومة الشعرية شعراء الفصيح والزجل، بل والأنصار والمعارضين وانتهت
 هذه الأشعار بانتهاك هذا الجيل الذي كان شاهداً على وقوع كارثة الاحتلال، وما إن حل
 1850 حتى أقل نجم محمد بن الشاهد، والأمير عبد القادر وابن التهامي.³

2- الرواية والقصة الشعبية:

والمقصود بالرواية هنا ليست الرواية بمعناها الأدبي الحديث وإنما هي تلك القصص
 الروايات الشعبية التي ظهرت بعد ضعف الثقافة المكتوبة والتي اعتمد فيها الرواة الشعبيين
 على الحفظ والأخذ من الذاكرة الجماعية والتراث أو من الخيال⁴
 وقد وجد الروائيون في أبطال الإسلام والجاهلية كعلي بن أبي طالب، وعنترة بن شداد
 مصدر إلهام ليعبروا عن ما تجيش به أحاسيسهم لا سيما ضد الغزاة الفرنسيين والمتعاونين
 معهم.

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، نفسه، ص ص 275-276.

* وهو ديوان الأمير عبد القادر المسمى "نزهة خاطر" في قريض الأمير عبد القادر "والذي كبع في مصر.

² سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص167.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص193.

⁴ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، نفسه، ص125.



وعرف الشعب الجزائري في هذه المدة قصة الجازية وذياب الهلالي والتي راجت خاصة في تراث أولاد رشاش بالشرق الجزائري، وقصة مائة حكاية وحكاية وهي أثر أدبي ينسبه البعض إلى الحاج الباهي البوني (العنابي)، ونزهة المشتاق وقصة العشاق في مدينة تريباق في العراق والذي طبع بالجزائر في 1848.

3- التاريخ:

خلت الساحة الفكرية من الأعمال التاريخية الكبرى والمتنوعة، ما عدا مؤرخون قلائل أرخوا لهذه الفترة من الزمن، ومنهم حمدان بن عثمان خرجة صاحب كتاب المرأة، وهو أهم الوثائق والمصادر المعاصرة لبداية الاحتلال، والذي كتب من وجهة نظر جزائرية ويسمى أيضا لمحة تاريخية معن إيالة الجزائر وكان تأليفه سنة 1833 وهو من أوائل المصادر والكتب التي تناولت الأحداث الفضيعة التي كانت مصاحبة للاحتلال الفرنسي ودعا من خلاله حمدان خوجة إلى التضامن الإسلامي ونشر بذور الوطنية والنهوض للتحرك من الاستعمار ولا أقل من مواقفه السياسية اتجاه الإدارة الاستعمارية ونذكر موقفه من إصدار مرسوم الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية في ديسمبر 1830، أما عن كتاب المرأة فإنه اشتمل على مقدمة وكتابين، وضم الكتاب الأولى ثلاثة عشر فصلا تناول فيها الحياة الاجتماعية لأهالي القرى وأخلاق وعادات البربر وغيرهم من المحيطين بالعاصمة ووصف عادات سكان الغرب الجزائري ومدينة الجزائر وأصل النظام السياسي في أواخر العهد التركي.

وفي الكتاب الثاني وصف فيه الصراع الدائر بين إدارة الاحتلال وبين فئات المجتمع الجزائري خاصة في مدينة العاصمة.¹

ولا نجد دراسات تاريخية بعينها تخص التاريخ العام للجزائر أو عدة مدن وإن كانت بعض المؤلفات قد تطرقت لكتابة تاريخ بعض الحواضر الكبرى كقسنطينة التي وصفها

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص ص 400-401.



محمد بن الصالح العنتري صاحب كتاب "الفريدة المؤنسة" أو تاريخ بايات قسنطينة في العهد العثماني وبدايات الاحتلال وطبع هذا المؤلف في قسنطينة حوالي 1847 بالعربية واهتم به ضباط المكاتب العربية والمترجمون الفرنسيون ومنهم: فايسات والذي كان مدرسا ومهتما في دراساته وأعماله بالفريدة المؤنسة وسماه في ترجمته بتاريخ بايات قسنطينة في العهد العثماني¹ ورغم أن العنتري لم يكن مؤرخا وإنما مكلفا بكتابة التاريخ ومولعا بالوثائق والمصادر.

المحبت الثالث: العلوم والفنون:

1- الطب والجراحة

ساهمت الظروف السائدة منها الاحتلال وسياسته المتبعة في تقويض وتهديم المؤسسات الثقافية والتي كان لها دور فاعل في تفعيل النشاط العلمي والثقافي وكذلك هجرة العلماء وانشغال الناس بالحروب والمقاومات ضد الاستعمار الفرنسي ولا ننسى ما للسياسة الاستعمارية من دور في تجهيل أفراد الشعب الجزائري كل هذه الظروف والعوامل ساهمت من قريب أو بعيد في قلة الإنتاج العلمي في هذه الفترة وبالكاد كان بعض المدرسين في الفلك والحساب يستمدون موادهم من تراث الأوائل كأعمال عبد الرحمن الأخرسي وسحنون بن عثمان الونشريسي، والخبار، وابن القنفذ.

وأهمل الطب والجراحة و لم تكن هناك مستشفيات وغالبا ما قامت الزوايا بعلاج المرضى، وكان المرجع الرئيسي المعتمد في التداوي في هذا الميدان كتب الأقدمين العلماء العرب البارزين كابن سينا والرازي والزهرابي.... وفي الفلك اعتمد المدرسون على كتاب بغية الطلاب في علم الاسطرلاب للحباك².

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص ص 342-343.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص417.



واستعمل الجزائريون الأعشاب للتداوي، وقدموها لمرضاهم، ولم يكن هناك امتحان أو تخصص في ميدان الطب، والذين كانوا يقومون بالعلاج هم غالبا مرابطون يداوون مرضاهم بالجن والأرواح وليس بالعلم.

وبالمقابل صار الطب حملة حضارية وسياسية لدى الفرنسيين والذين ألغوا طريقة العلاج التقليدية، ومنها فكرة العلاج بالأرواح والشعوذة، وأكدوا أن التطور العلمي ذو صلة قريبة من الإنسان والذي له حقه في التخلص من تحاليل الخيال هذا الحظ المتمثل في نشر الطب وتعميمه والقضاء على الطرق العلاجية التقليدية¹.

أما الجراحة فإنها كانت شبه منعدمة وكلمة الحكيم هي الشائعة لدى أفراد المجتمع الجزائري، والطبيب محل احترام وتقدير².

واستعمل الجراحون أدوات الحلاقة والتي لجأوا إلى استخدامها في الحجامه والكي، وأثر ضعف مستوى الطب في بدايات الاحتلال إلى انتشار الأوبئة، والأمراض خاصة لما يتصادف وقوعها مع حدوث أزمات اقتصادية.

2- الفنون

2-1 الفن المعماري:

يعتبر الفن المعماري في الجزائر بدايات الاحتلال الفرنسي امتدادا طبيعيا لذلك الفن الأصيل والذي تواجد في أواخر العهد العثماني وازدهر خلال الفترة العثمانية، وهو مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية.

وكانت المدارس والجوامع الكبرى، وحتى بعض الزوايا لها ميزة البناء على الطريقة المعمارية الإسلامية الأصيلية.

¹ ايفون تيران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة (1830-1880)، ترجمة عبد الكريم أوزغلة، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2007، ص84.

² سعد لله تاريخ الجزائر ، ج2، المرجع السابق، ص 430



ومع دخول الفرنسيين البلاد اندثرت جل هذه المؤسسات الثقافية والتي تمثل إحدى مظاهر الفن المعماري الإسلامي.

وقد قامت السلطات الاستعمارية بعمليات هدم واسعة مست جل هذه الهياكل والمؤسسات التي شيدها الأتراك وهذا الحجج وذرائع واهية منها سوء التنظيم، وضيق الطرقات وبالتالي تنظيم المدن الكبرى كمدينة الجزائر وتوسيع طرقاتها.

وقد منحت لنا الحضارة الإسلامية فنا معماريا ساعد فيما بعد على تواجد أشكال الرسم والمستمدة منها المنمنمات والزخرفة والتي بدورها وجدت لها مكانا بين الفنون الأخرى¹.

2-2 الرسم والموسيقى:

أما الرسم والذي يعتبر من المظاهر الفنية في الجزائر بدايات الاحتلال الفرنسي فإنه تمثل في الزخرفة والمنمنمات*، والتي كانت وليدة الحضارة العربية الإسلامية الأصيلة، وهذا من خلال ما نراه في واجهات الدكاكين والمنازل وجدران المساجد والقصور المتوارثة عن الأتراك، لا سيما في حي القصبة بمدينة الجزائر العاصمة.

كما حافظ سكان القبائل والأوراس في أعالي الجبال على رسوماتهم البربرية والمتعارف عليها وهي التي تزين الأواني الفخارية، وبيوت سكان القبائل.

وفي ميدان الموسيقى يقول أبو القاسم سعد الله: " الموسيقى الجزائرية أصيلة ومتنوعة وترجع أصلاتها إلى كونها مستوحاة من التراث المشترك الذي أنتجته العبقرية الشعبية، وتمتد جذور هذا التراث إلى عهود قدم الإنسان الجزائري على أرضه، وهي أيضا موسيقى متنوعة لاختلاف مناطقها أو بيئاتها من جهة، وللتأثيرات الخارجية من جهة أخرى

¹ أحمد مريوش، المرجع السابق، ص ص 24-25.



وكان اتساع الرقعة الجغرافية للجزائر وصعوبة المواصلات وتنوع الخارطة المناخية قد جعل الموسيقى متنوعة النغمات والأداء والأسماء¹.

و لم يقع الاهتمام بالموسيقى الجزائرية من جانب الفرنسيين كاهتمامهم باللهجات والمخطوطات والمعالم الأثرية، وقلت في هذا الجانب الدراسات الوصفية التي تتحدث عن تطور وتنوع الموسيقى وعلاقتها بالحياة اليومية للفرد الجزائري.

بالمقابل لم يهمل الجزائريون تراثهم الموسيقي واستخدموا في هذه الفترة آلات محلية كالبندير والطبلة والقصبة* واستعمل أهل المدن الربابة والقانون والعود والدربوكة.

كما كانت الألحان والأنغام الأندلسية حاضرة ولها فرق موسيقية أوجدت لها أماكن في المقاهي الشعبية وفي المناسبات الدينية كإحياء ليالي رمضان، والزواج، والختان والمولد النبوي الشريف².

ويسمى هذا النوع من الموسيقى الأندلسي والذي جاء به الأندلسيون حين سقوط الأندلس ، ثم تزوج مع الآلات الشرقية في عزفه كالرباب والناي والعود، وظهرت ميزته كفن أندلسي له مستوى في تحديد وضبط الأنغام³.

وغالبا ما تتألف الفرق الغنائية الأندلسية من 20 أو 30 شخص، وتسمع في المقاهي والاحتفالات والمناسبات.

2-3 المسرح:

وعرف الجزائريون في هذه الفترة لونا من المسرح الشعبي والمتمثل في مسرح (القراقوز) من 1835 ولعله كان معروفا قبل هذا العهد لأنه كان موجودا في المشرق العربي ويعتبر هذا اللون من الفنون الأدبية التي كانت معروفة في الجزائر حينذاك.

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص430.

* القصبة: وهي آلة موسيقية بدوية تشبه الناي.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص170.

³ نفس المرجع، ص121.



وتقام حفلات القراقوز في شهر رمضان ويحضرها عدد كبير من المواطنين وحتى الأوربيين والقراقوز هو أهم شخصية في المسرحية يرتدي لباسا بدويا ويمتاز بطول القامة، ولا يظهر فوق المنصة إلا ليتبادل الضربات واللكمات مع الممثلين الآخرين، وتثور ثأثرته عندما يرى أنهم لا بسين ثياب الجنود الفرنسيين وقد يكون موقفه هذا إشارة إلى استمرارية المقاومة في البوادي والأرياف.¹

كما تعرض مسرح القراقوز في فترة الاحتلال إلى مواضيع مستقاة من واقع المجتمع الجزائري، فانتقد الاحتلال الفرنسي وسخر من أولئك الذين يتعاملون معه ومنعت السلطات الفرنسية هذا المسرح في 1843.²

¹ محمد الطمار، المرجع السابق، ص272.

² سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1967، ص54.

الختامة



الخاتمة

بعد دراستي للوضع الثقافي في الجزائر في بدايات الاحتلال الفرنسي (1830-1871) خلصت إلى عدة استنتاجات يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- انتشار وكثرة المؤسسات الثقافية في الجزائر عشية الاحتلال وتراجع أدوارها وتناقص أعدادها بفعل السياسة الاستعمارية وانعدمت في بعض المناطق في نهاية الأربعينات من القرن التاسع عشر ميلادي.

- أن التعليم العربي الأصلي كان منتشرًا قبيل التواجد الفرنسي رغم أنه تقليدي، ثم ما لبث أن ساءت وضعيته وهذا جراء تهديم الهياكل التعليمية من مساجد ومدارس تعليمية وزوايا.

- أن مؤسسة الأوقاف كانت لها أدوارًا رائدة ومدعمة وبسيطرة الفرنسيين على أملاك هذه المؤسسات تعطلت جل المؤسسات الثقافية الأخرى كالمساجد والمدارس والزوايا .

- تعرض فئة العلماء والمدرسين للنفي والتهجير والتضييق على البقية منهم.

- عجز الفرنسيين في بداية احتلالهم للجزائر في جلب الجزائريين لتدريس أبنائهم في مدارسها رغم قلتها واعتمادها على التمييز بين أبناء الجالية الأوربية والفرنسية وبين الجزائريين.

- تواجد الطرق الصوفية وانتشار فروعها في الجزائر كان متعدد الأدوار والمهام وكانت بعضها داعمة للمقاومة والجهاد واهتمت أخرى بالقضايا التربوية.

حافظ المجتمع الجزائري على نشاطاته الفكرية والعلمية رغم الظروف السائدة وكانت هناك محاولات للمحافظة على الإرث الثقافي والفكري وتمثل في مجالات العلوم الشرعية والآداب والفنون.

حالة الجمود والركود الثقافي والفكري التي كانت تعيشها الجزائر في ظل السيطرة الفرنسية لم تشكل حالة استثنائية بل كانت كل البلاد العربية تعيش أوضاعًا مزرية انعكست على أوضاعها الثقافية والفكرية.

لا يمكن أن نفصل دراسة الوضع الثقافي عن دراسة الأوضاع السياسية

والاقتصادية



قائمة الملاحق



قائمة الملاحق

الملحق رقم 01:



١٥ دسمبر سنه ١٨٥٥




• ربيع الثاني ١٢٧٢

انواع الملبوسات والعراش منهم اثني عشر وثلاثين مضرية وخمسين لحاف وستة وخمسين فحجة وخمسين صرورال وثمانية عشر حلابية وبعض الغلايل جميلة وستة جباد وليسات واثنى عشر زوجية صباط واثنى عشر زوجية شفاشر واثنى عشر فوطه واربعه وعشرين سدريه هذا وقد كنا علمناكم سابقا في اليوم الثاني من مسابغة الخيل في الكورس بما ألهم الله به العالين بالملعب من الأغاوات والعميد والمشايخ في توجيههم الى الحرة الشريفة الجميلة السيدة مدام لارنطيس رانديون وسلوا لديها خمسة اية وبنك من ثمن الجزاء الذي ربحوه فليلون لها اكرى بها من تشاء ثم اجتمعت جماعة السيدات من النسوة المذكورة المعروفة بالدام دوشاريطه واشترتن لها بالعدد المذكور الخواج المسطورة اعلاه ثم جوفت على اضعى البغراء ومن حسن جعلهن للجميل ايضا انهن افادوا خباطات المسلمين التي هي حرقتهن باجرة خباطه هذه الملبوسات بحصل بذلك العفل الحسن العالين منافع من الجهتين بالاجر الكامل مجزى الله خير من تصدى وسعى في الصلاح

ان سعادة والى مملكة الجزائر قد حصل له السرور التام عند مشاهدته النية الصافية والخدمة الواجبة لدولتنا من طرفى بنى جناد لانهم لم يدخلوا الى العتنى التى سعى في ايجادها بعض اعراض جرجرة وقد تعرضوا ايضا فيما ارادوا يجعلونه المعسرون حيث وجهوا الى تيزى وزو بعض جنودم التى تمديل مرة بعد مرة ومع هذا فد دخل الكثير منهم في حزب خدمة تزيور المسلمين فلما عين منهم هذه الاعمال للسناء اراد اسعده الله ان يظهر لهم حسن نيته في محبتهم والفرح بافعالهم وعند ذلك صدر امر يتضمن ترداد عرش بنى جناد في ساير اسواق العمالات الجزائرية دون معارض ولا يعطون مصاريفى اوزاقى التسريح ابن ماتوجهورا وهما يزدادون نية وصدقا يجازون بمعروف اكثر من ذلك وبمنها حصلت هذه النية لعرش بنى جناد المذكور في مغابله احسانهم امتد للحكم على الاعراض العصاة من ذلك ان جميع المناويفين من بنى راتن وبنى منكلات وبنى بويوسى وبنى يانى وبنى يتورغ وبنى يحيى وبلولة امالوا وبنى يلهغثن وبنى بجر ووادى الحمام وبنى عمري وبنى مليمكش لايدخل احد منهم الاسواق التى في اعراض طاعتنا اصلا ابدا

ان تزيور المسلمين قد جرحوا بعم جميع اهل البلد واندسارية ومسلمين لما ذكروا من حسن افعالهم للجملة ولما ان وقت خروجهم من الملبد اظهروا مكافات

ان جماعة سيدات النسوة الواقفين على جبر بفرام المسلمين من بلد الجزائر بالخدمة با عطوم بعض



المصادر

والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر:

-العنتري صالح: مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزي،الجزائر، 1394هـ-1974م.

- خوجة حمدان، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي زوبيري، طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

2- المراجع:

الكتب:

- الأشرف، مصطفى: الأمة والمجتمع، ترجمة عيسى حنفي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

- العقبى، صلاح الدين مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002.

- المدني، أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة العسكرية، القاهرة، مصر، 1956.

- الجواهري، خيال محمد مهدي، من تاريخ المكتبات في البلدان العربية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1992.

- بوحوش، عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية والى غاية 1962، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2006.

- بوعزيز، يحي، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2004.

- تيران، ايفون، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.

- حلوش، عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، شركة دار الأمة، الجزائر، 1999.

- خضر، سعاد محمد، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1967.



- زبيري، محمد العربي، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- سعد الله، أبو القاسم، رائد التجديد محمد العنابي المتوفي 1850، صاحب كتاب السعيد محمود في نظام الجنود، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 1990.
- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (الجزء الأول والثاني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (أجزاء 3-4-5-7-8)، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998.
- سعد الله، أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- سعيدوني، نصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- سعيدوني، نصر الدين، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، م.و.ك، الجزائر، 1984.
- سونك: الديوان المغربي في أقوال عرب إفريقيا والمغرب، بحث وتقديم أحمد أمين، موفم للنشر، الجزائر، 1994.
- الطمار، محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
- فركوس صالح، تاريخ الجزائر ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- قداش محفوظ، وصاري الجيلالي، الجزائر في التاريخ، المقاومة السياسية (1900-1954)، الطريق الاصلاحى والطريق الثوري)ت: عبد القادر حراث، م.و.ك، الجزائر.
- عباد، صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.



- عميراي، حميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس آخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، (د.ت).
- ملاح، بشير، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1889)، ج1، دون طبعة، دار المعرفة، دون تاريخ.
- نسيب، محمد، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، مطبعة النخلة، الجزائر، 1989.
- 3- الدوريات:**
- السليمانى، أحمد حسين، نزع الملكية للجزائريين (1830-1871)، مجلة المصادر مجلة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 6، مارس 2002، الجزائر.
- العربي، اسماعيل، مسالك الاسلام والعربية الى الصحراء الكبرى، مجلة الثقافة، العدد 6، مارس- أبريل، 1981.
- بوعزيز يحي، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين (19-20)، مجلة الثقافة، العدد 63، الجزائر، 1989.
- بسايح، بوعلام، الثقافة الافريقية: طموحات ومتطلبات، مجلة الثقافة، العدد 96، الجزائر، 1996.
- بقطاش خديجة، أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي 1830، مجلة الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الاعلام الثقافي بالجزائر، العدد 62، مارس 1981.
- سعيدوني، نصر الدين، العلاقة بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي وانعكاساتها على المقاومة في أوائل عهد الاحتلال، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد الثاني، 1986.
- مريوش أحمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- مسعود، العيد، حركة التعليم في الجزائر، مجلة سيرتا، العدد الثالث، الجزائر، 1980.



4- الرسائل الجامعية:

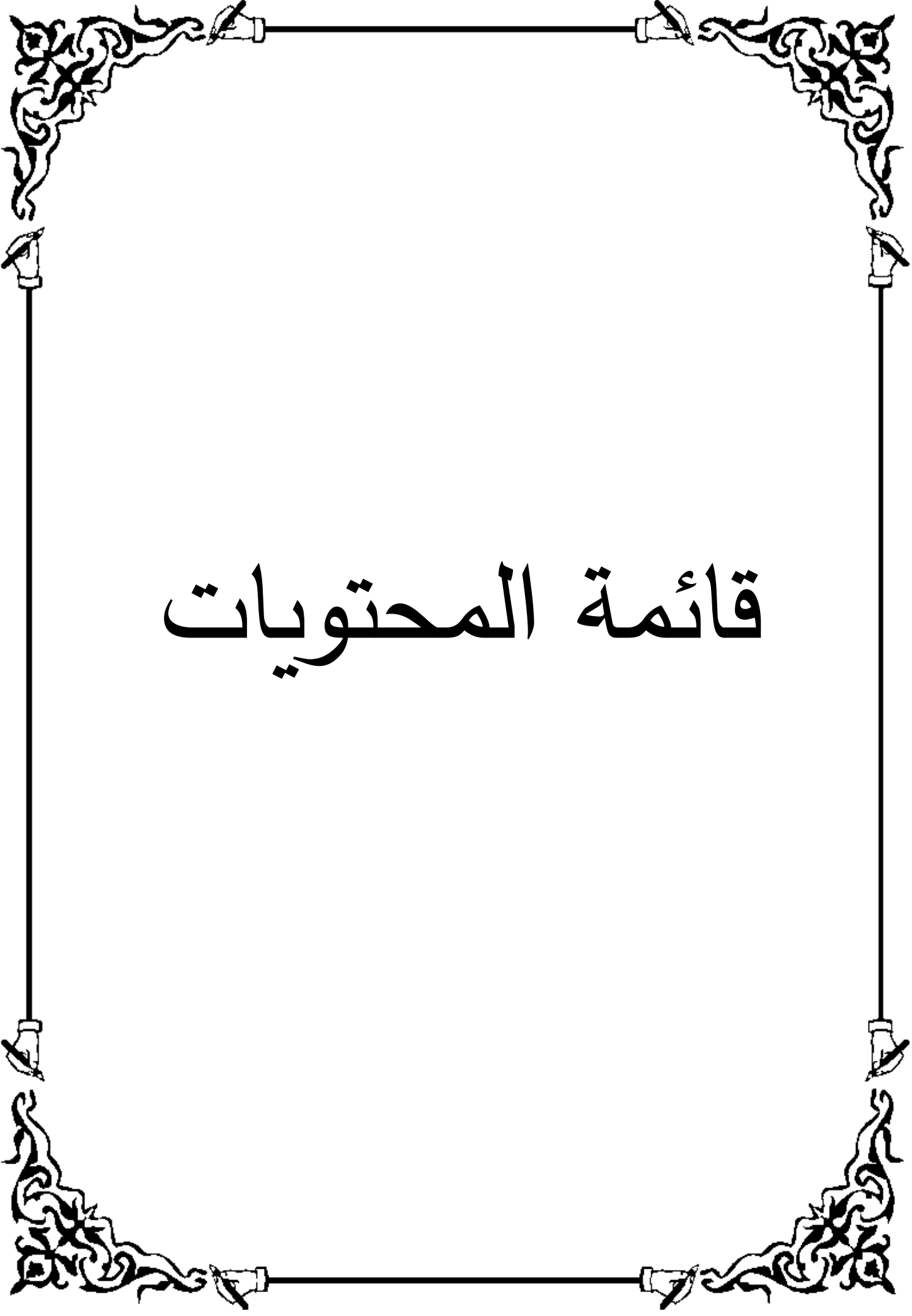
- فرج، محمود فرج، اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، أطروحة دكتوراه، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977.
- لونيبي إبراهيم، القضايا الوطنية في جريدة المبشر (1847-1870)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف أبو القاسم سعد الله، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993-1994، الجزائر.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- clauzel observation du generasl clavzel svr que lqves actes de son gouver ne ment dalger.paris.1831
- Octave de pont, xavier, co ppolani, les confréries religieuse muslimans, Alger, 1897,
- Ounassa Tengour: La fin des Médressas ou la raison d'une aventure coloniale. Tlemcen et Constantine (1850-1880) (U.R.A.SC)
- Yvonne Turin- affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, écoles, médecines, religions 1830-1880, 2 Ed, Alger, Entreprise national du livre.

المواقع الالكترونية:

- أحدث هذه المعلومة من مقال غير الانترنت بعنوان "المكتبات العامة بالجزء خلال فترة الاحتلال الفرنسي (1830-1962) Alyassir net wb/



قائمة المحتويات



فهرس المحتويات

شكر وتقدير

إهداء

شكر وعرفان

الملخص

مقدمة.....1

الفصل التمهيدي: الوضع العام في الجزائر بداية الاحتلال الفرنسي:.....5

1 - الوضعية السياسية:5

2- الوضعية الاقتصادية.....7

الفصل الأول: المساهمة الأندلسية في المجال الاقتصادي.....12

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية:.....14

1-المساجد:.....14

2- المدارس التعليمية (القرآنية):.....16

3-المكتبات:.....18

المبحث الثاني: حالة التعليم العربي التقليدي:.....22

1- حالة التعليم العربي في ظل الاحتلال:.....22

2- مناهج التعليم وأطواره:.....26

3-المدرسون:.....27

4-العلماء:.....30

المبحث الثالث: السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر (1830-1871).....33

1- التعليم الرسمي الفرنسي (1830-1850):.....33

2- المدارس الشرعية الرسمية: 1850-1871.....35



واستمر هذا الوضع على حاله حتى جاء مرسوم 13 ديسمبر 1866 والذي اهتم بوضع النشاطات المستقبلية لخريجي المدارس الشرعية في مزاولة الدراسة في الطور الثانوي.. 37

الفصل الثاني: المؤسسات الدينية..... 38

المبحث الأول: مؤسسات الأوقاف: 39

1- حالة المؤسسات الوقفية عشية الاحتلال:.. 39

2- سياسة الاحتلال اتجاه الأوقاف: 39

المبحث الثاني: الزوايا:..... 42

1- أنواع الزوايا وأدوارها: 42

2- الزوايا في ظل الاحتلال: 44

المبحث الثالث: الطرق الصوفية وأدوارها: 46

1- أدوارها 46

2- أبرز الطرق الصوفية:..... 51

الفصل الثالث: الإنتاج الفكري في الجزائر 1830-1871..... 61

المبحث الأول: العلوم الشرعية 61

1- القراءات:..... 61

2- الحديث الشريف: 62

3- الفقه:..... 63

4- الإثبات والإجازات: 65

المبحث الثاني: الآداب والتاريخ:..... 66

الشعر..... 66

2- الرواية والقصة الشعبية:..... 67

قائمة المحتويات



68	التاريخ: 3-
69	المحبت الثالث: العلوم والفنون: 3-
69	1- الطب والجراحة
70	2- الفنون
77	قائمة الملاحق
79	قائمة المصادر والمراجع
84	فهرس المحتويات



ملخص

يدور ملخص الدراسة والتي عنوانها الوضع الثقافي في الجزائر بداية الاحتلال الفرنسي 1830-1871 وتناولت فيها (مقدمة والتي بنيت فيها الأسباب الذاتية والموضوعية لإختيار الموضوع والمناهج المتبعة،

وكذلك الخطة المختارة، معرجا على وصف بعض المصادر والمراجع. أما في الفصل التمهيدي والذي تطرقت فيه للوضع العام في الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي (سياسيا، واقتصاديا وثقافيا وخلال الأربعين سنة الأولى ومدى علاقة هذه الأوضاع بعضها ببعض وتأثيرها على الجانب الثقافي. وفي الفصل الاول والذي عنوانته ب التعليم والمؤسسات التعليمية فتطرقت من خلاله للحالة التي كانت عليها المؤسسات التعليمية من مدارس قرآنية، ومساجد ومكتبات حركة التعليم العربي التقليدي والتعليم الرسمي الفرنسي اثناء الفطر الممتدة من 1830 - 1850 ومال التعليم في هذه خاصه بعد انشاء المدارس الشرعية الثلاثة 1850 1871 مع اعطاء بعض الاحصائيات الواردة بالأرقام عن تلك الفترة الزمنية ومدى تقبل الجزائر بين لهذه التعليم ودخول انبائهم في هذه المدارس وفي الفصل الثاني والذي عنوانته بالمؤسسات الدينية تطرقت فتطرقت الى دور مؤسسات الاوقاف والزوايا وانتشارها في الجزائر أواخر العهد العثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي وتبين السياسة الاستعمارية من خلال استهداف هذه المؤسسات بالتخريب والهدم والاحتواء ومعرجا على ابرز الطرق على ومواقف رجالات التصوف من الاحتلال الفرنسي للجزائر بين مؤيد ومعارض وفي الفصل الثالث والذي تناولت فيه الجوانب العلمية والفكرية والفنية الانتاج الفكري فتطرقت للعلوم الشرعية لاهتمام المجتمع الجزائري ومدى مساهمة علماء الجزائر ومدرسيها تدريبا وتأليفا وفي الأداب والتي ينشا فيها حالة الشعر وبعض الشعراء والرواية الشعبية وفي ميدان العلوم والفنون تحدثت عن التقليد في جوانب الطب والجراح وفي ميدان الفنون بينت اهم الفنون التي حافظ الجزائريون عليها والتي كانت نابعة من روافد الحضارة العربية الإسلامية من الزهراء والزخارف ورسم وموسيقى ومسرح واخيرا خاتمة



التي كانت عبارته عن استنتاجات ونتائج عن جل جوانب الوضع الثقافي خلال فترة
المدرسة

Summary

The summary of the study, entitled The cultural situation in Algeria, discusses the beginning of the French occupation (1830-1871) and dealt with

An introduction in which the subjective and objective reasons for choosing the subject and the approaches followed are built, as well as the chosen plan, with a description of some sources and references. As for the introductory chapter, in which I touched upon the general situation in Algeria on the eve of the French occupation (politically, economically, culturally) and during the first forty years and the extent to which these situations relate to each other and their impact on the cultural side.

In the first chapter, which I titled Education and educational institutions, I touched upon the state of educational institutions such as Quranic schools, mosques and libraries of the education movement (traditional Arabic education and French formal education) during the 1830s 1850 and the money of education in this particular after the establishment of the three Sharia schools 1850 1871, giving some statistics in figures about that time period and the extent of acceptance of Algeria between these education and the entry of their children in these schools, and in the second chapter, which I titled Religious Institutions, I touched on the role of institutions of Endowments and Zawiya and their spread in Algeria late Ottoman era and the beginning of the French occupation, and from the French occupation of Algeria between a supporter and an opponent, and in the third chapter, in which I dealt with the scientific, intellectual and artistic aspects In the field of Sciences and arts, she talked about the tradition in the aspects of Medicine and surgery and in the field of arts, she indicated the most important arts that the Algerians preserved, which stemmed from the tributaries of the Arab-Islamic civilization of flowers, ornaments painting, music, theater, and finally a conclusion that was expressed as conclusions and results about most aspects of the cultural





الجامعة الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
FACULTY OF HUMANITIES
AND SOCIAL SCIENCES

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Affairs

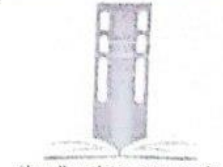
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of Higher Education and Scientific Research

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

University Mohamed Boudiaf of M'sila



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Universita Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نهاية العادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

وثيقة ايداع منكرة ماستر

الموضوع:

الوضع الثقافي في الجزائر بداية الإطّلال الفرنسي
(1830 - 1871)

إعداد الطلبة:

1- شويكار العربي رقم التسجيل: /
2- رقم التسجيل: 280120323085096415 /
القسم: التاريخ الشعبة: التخصص الوطن العربي المعاصر
إشراف: الأستاذ جمال بريم الرتبة:

أقر بانني تابعت العمل المنكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2023-2024 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

عواض ا.د. بريم كل

رئيس فريق الاختصاص

بن حامر

رئيس القسم /ع



و. عباس فتحي



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
الجامعة محمد بوضياف - المسيلة
FACULTY OF HUMANITIES
AND SOCIAL SCIENCES

Faculty of Humanities and Social Sciences

Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Affairs

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

University Mohamed Boudiaf of M'sila



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
University Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
تياية العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /

تصريح بشرفي خاص بالالتزام بقواعد الشافعية العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضى أدناه:

السيد (ق): شؤدار العربي

الصفة (طالب، استاذ/باحث، باحث دائم):

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 208 19 44 10

الصادرة بتاريخ: 2022/08/14 عن دائرة: الخليل

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية: التاريخ

تخصص: الوطن العربي المعاصر تحت رقم التسجيل:

والمكلف بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة) دكتوراه.

عنوانها: الوضع الثقافي في الجزائر بداية الاحتمال الرئيسي

(1830 - 1871)

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة

الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2024/06/08

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

نعم بحمد الله